المديح عند الشيخ آدم عبد الرحمن السيوطي"ثِنْدُو"

دراسة أدبية تحليلية

إعداد:

عمرو جبريل مَسُكُوَاني

MA/ ARTS/ 07262/2006-07

قسم اللغة العربية

كلية الآداب

جامعة أحمد بلّو – زاريا

2011م /يونيو

STUDY AND ANALYSIS OF EULOGY IN THE POEMS OF SHEIKH ADAM ABDURRAHMAN [CHINDO]

BY

AMRU JIBRIL MASUKWANI

MA/ARTS/07262/2006/2007

DEPARTMENT OF ARABIC

FACULTY OF ARTS,

AHMADU BELLO UNIVERSITY,ZARIA-NIGERIA

JUNE, 2011

STUDY AND ANALYSIS OF EULOGY IN THE POEMS OF SHEIKH ADAM ABDURRAHMAN [CHINDO]

BY

AMRU JIBRIL MASUKWANI

MA/ARTS/07262/2006/2007

THE THESIS SUBMITTED TO THE POSTGRADUATE SCHOOL,

AHMADU BELLO UNIVERSITY, ZARIA

IN PARTIAL FULFILMENT FOR REQUIMENT OF THE AWARD OF MASTER DEGREE IN AFRICAN LANGUAGES (ARABIC)

DEPARTMENT OF ARABIC

FACULTY OF ARTS,

AHMADU BELLO UNIVERSITY,ZARIA-NIGERIA

JUNE, 2011

CERTIFICATION

This Thesis entitled EULOGY POEMS FROM SHAIKH ADAM ABDURRAHMAN (CHINDO) A STUDY AND LITERARY ANALYSIS" by Amru Jibril Masukwani meets the regulation governing the award of Master of Degree of Ahmadu Bello University, Zaria. And is approved for its contribution to knowledge and Literary Presentation.

....

Dr. A. S. Khalid Date

Chairman, supervisory committee

....

Dr. Yahuza Sulaiman Imam Date

Member, supervisory committee

....

Prof. Garba Dantsoho Zaria Date

Head of department

....

Prof. A. A. Joshua Date

Dean, Postgraduate school

DECLRATION

I declare that the work in thesis entitled: "Study and Analysis of Eulogy in the Poems of Sheikh Adam Abdurrahman (Chindo)", has been performed by me in the Department of Arabic under the supervision of Drs. A. S. Khalid, and S. I. Yahuza.

The information derived from the literature has been dully acknowledged in the text and a list of references provided. No part of this thesis was previously presented for another degree or diploma at any University.

Amru Jibril Masukwani

……	……..	…….
Name of student	Signature	Date

ABSTRACT

This work titled: **STUDY AND ANALYSIS OF EULOGY IN THE POEMS OF SHAIKH ADAM ABDURRAHMAN (CHINDO),** The work aimed at discovering literary aesthetics and values from Arabic Eulogy poems of an Arabic poet. The research comprises five chapters. Chapter one covers the introductory part as statement of the problem, significance of the research, aims and objective, scope and limitation, methodology and review of some related literature. Chapter two of the research covers the biography of the poet and the impact of his environment on his literary works socially and intellectually, the chapter enumerates some of his literary works. Chapter three dwelt on the study of praise poems and focused on the literary analysis of the poems. Chapter Four highlighted the artistic potential of the poem. Chapter Five is the conclusion and summary of the research work with some recommendations. It is hoped that the work will boost further research in the tremendous Arabic literary legacies of our indigenous scholars.

التقرير

هذا البحث بعنوان " المديح عند الشيخ آدم "تِنْدُو" CHINDO, دراسة أدبية تحليلية "الذي كتبه الطالب عمرو جبريل مَسُكْوَاني مستوف للشروط المستلزمة لمنح شهادة الماجستير

في قسم اللغة العربية بكلية الآداب, جامعة أحمد بللو, زاريا, وهو مقرر لمساهمته في التقدم العلمي والأدبي.

التوقيع

1-المشرف الأول على البحث:.....

التوقيع والتاريخ:.....

2-المشرف الثاني على البحث:.....

التوقيع والتاريخ:.....

3-الممتحن الخارجي:.....

التوقيع والتاريخ:.....

4-رئيس القسم:.....

التوقيع والتاريخ:.....

الإهداء:

يسرني أن أهدي ثواب هذا العمل إلى روح والدي الذي قام بتربيتي منذ ولادتي. فجزاه الله خيرا, واغفر له, وارحمه, واجعل قبره روضة من رياض الجنة, وأدخله الجنة مع الأبرار, واغفر لوالديه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وإلى والدتي – خير أم- التي ربتني وساعدتني وبذلت جهدها. فأسأل المولى القدير أن يغفر لها ويرحمها ويعفو عنها بعافية تامة في الدنيا والآخرة ويحفظها من كل شر ويسترها ويطيل عمرها على طاعة

الله ورسوله ويجعل الجنة مثواها برحمتك يا أرحم الراحمين. تبعاً لأمر الله تعالى في قوله: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}.[1]

الشكر والتقدير:

{هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي}[2]. والشكر على النعمة والفضل واجب, ومن الخصال الحميدة. يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِي}[3] ويقول أيضا {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي

[1] سورة الإسراء. الآية: 24

[2] سورة النمل. الآية: 40

[3] سورة النمل :الآية: 19

تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِين}.[4] ويقول {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}[5]

أقدم خالص الشكر والثناء على الله تبارك وتعالى الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلا.

وبعد, فالشكر الجزيل إلى مشرف الأول لهذا البحث _ الدكتور آدم سعيد خالد _ , الذي بذل كل الإمكانيات في إنجاز هذا العمل فجزاه الله خيري الدنيا والآخرة.

وإلى المشرف الثاني _ الدكتور يهوذا سليمان إمام _ أشرف وأرشد وشاور وبذل كل المجهود في إنجاز هذا البحث فجزاه الله في الدارين خيرا كثيرا.

كما أشكر أستاذي والمنسق الدكتور إلياس عباس , ورئيس القسم المفدى, الفروفيسور غرب طن ظوهو زاريا, والدكتور محمد أول عمر, والدكتور بشير حسن, والدكتور محمد لول أمين, والفروفيسور محمد طاهر سيد ,فجزاهم الله خيرا كثيرا.

وأشكر أيضا الإخوة والزملاء: الدكتور محمد إنو ثالث طلحة, والدكتور إسماعيل إدريس , والأستاذ إبراهيم منصور _ حفيد الشيخ آدم تِنْدُو _ والأستاذ كبير حسن بلا, والأستاذ غالي خامس جوم, والأستاذ معظم سليمان خالد, والأستاذ ثالث يحيى, والأستاذ حبيب سليمان كورا, وجميع الزملاء في قسم اللغة العربية بكلية سعادة ريمي للتربية, وكل من ساهم في إنجاز هذا العمل, فجزا الله الجميع خيرا.

وأخيرا أشكر جميع أفراد أسرتي على ما قاموا به في تحقيق أملي, وبالأخص أخي نور الدين جبريل, وزوجتي وأنيستي عائشة غرب مغشي, وزينب عثمان, اللهم اجعل الجنة مثواهم أجمعين. آمين.

---

[4] سورة الأحقاف. الآية: 15

[5] سورة البقرة. الآية: 152

الفهرس

1-
2- التقرير..... 2
3- التوقيع..... 3
4- الإهداء.....4
5- الشكر والتقدير..... 5
6- الفصل الأول المقدمة..... 13
أ- عنوان البحث..... 13
ب- أسباب اختيار الموضوع..... 13
ت- أهداف البحث.....14

ث- أهمية البحث.....15
ج- مشكلة البحث.....16
ح- حدود البحث.....17
خ- منهج البحث.....17
د- الدراسات السابقة.....17
ذ- التبويب 20
7- الفصل الثاني: السيرة الذاتية للشيخ آدم والنشاط العلمي....21
أ- نبذة عن حياة الشيخ آدم ثندو..... 21
ب- علماؤه وتلامذته..... 23
ت- أولاده..... 25
ث- تعليمه وتعلمه..... 26
ج- بيئته..... 27
ح- الجو الذي نشأ وترعرع فيه الشيخ آدم عبد الرحمن..... 29
خ- القبائل التي خالطها الشيخ آدم عبد الرحمن ثندو..... 30
(1)القبيلة الفلاتية.....30
(2) العرب..... 31
(3) قبيلة كانوري.....34

(4) قبيلة نوفى.....35
(5) قبيلة يوروبـا.....35
(6) الطوارق.....35
د- الحياة الـدينية في كنو 36
ذ- الحياة الاقتصادية في مدينة كنو 37
ر- الحياة الثقافية في مدينة كنو.....39
ز- وفاته.....40
س- آثاره.....40
8- الفصل الثالث..... . 43
المديح عند الشيخ آدم عبد الرحمن السيوطي (ثندو)..... 43
تطوّر فن المديح عبر العصور الأدبية..... 46
أ- المدح في العصر الجاهلي..... 46
ب- المدح في عصر صدر الإسلام..... 48
ت- المدح في العصر الأموي..... 50

ث- المدح في العصر العباسي..... 51
ج- المدح في عصر النهضة الحديث..... 53
ح- المدح في القرن العشرين 55
خ- عرض مدائح الشيخ آدم ثندو والتعليق عليها..... 60
د- القصيدة الأولى فتح الرحمن..... 60
ذ- القصيدة الثانية فيض الإلهي.....67
ر- القصيدة الثالثة :الهمزية..... 77
ز- التحليل الأدبي للقصائد..... 86
أ- بناء القصائد..... 86
ب- مقدمة..... 86
ت- موضوع القصائد..... 87
ث- الخاتمة..... 90
ج- الموسيقي.....

الفصل الرابع: دراسة فنيّة لقصائد الشيخ آدم عبد الرحمن ثِنْدُو.....93
أ- ظواهر علم البيان:.....93
1-ظاهرة التشبيه..... 94
2- الإستعارة..... 97
ب- ظواهر علم المعاني..... 98
1- الفصل..... 97
2- الوصل..... 100
3- الأسلوب الإنشائي في النداء..... 101
ت- فن البديع..... 104
1- الجناس..... 105
2- التلميح..... 107
3- الطباق..... 113
4- مراعاة النظيرأو المناسبة..... 117
ز- الموسيقى..... 120
9- الفصل الخامس:الخاتمة..... 124
أ- خلاصة الأفكار الواردة في البحث..... 124
ب- نتائج البحث..... 126

ت- التوصيات والملاحظات.....
127
10- المصادر و المراجع.....
127

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول: المقدمة

الحمد لله الذي فضل اللغة العربية على سائر اللغات، وجعلها لغة كلامه الحكيم، ولغة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، سيد الأولين والآخرين، أفصح العرب بلاغة، وأحسن الناس نطقا، وعلى آله الطيّبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامين.

أما بعد,

فإن مبررات هذا البحث تتمثل في العناصر التالية:

عنوان البحث :

المديح عند الشيخ آدم عبد الرحمن السيوطي "تِنْدُو" دراسة أدبية تحليلية.

أسباب اختيار الموضوع

لما كانت حارة "مدابو" Madabo مركزا من مراكز الإسلام والثقافة العربية في "كنو" Kano، وحيث أنها تأسست فيها معاهد علمية، واشتهر علماؤها بالمهارة والبراعة في الثقافة الإسلامية والعربية, فإن المكتبة العربية في أمس الحاجة إلى مصنفات أصحاب تلك المعاهد، نظرا إلى أنه تراث علمي قيم، فإن إثراء المكتبات العلمية بمثل هذا التراث من الأمور التي لا يستهين بها من يهمه أمر الإسلام واللغة العربية .

ويمكن أن تجمل الأسباب التي دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع في النقاط التالية:

1) رغبة الباحث الشديدة في إبراز شخصية هذا الشيخ و المكانة التي إحتلها في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في مدينة كنو خاصة، وفي شمال نيجيريا عامة.

2) محاولة الباحث في لفت أنظار الباحثين والكتاب إلى ضخامة آثار الشيخ آدم المدابوي بمثابتها نموذجاً حيّا لمجهودات علماء كنو في إحياء التراث العربي.

3) شوق الباحث الأكيد في إحياء التراث العربي الذي خلفه علماء كنو, نظرا إلى ما يتضمنه هذا التراث من الفوائد العلمية الجمة.

4) حب الباحث الشديد في وضع أيدي القراء على ما أنتجه هذا العالم النحرير في فن المديح ليكونوا على بصيرة بما وهبه الله تعالى من الملكة الشعرية .

أهداف البحث

هذا البحث يرمي في المقام الأول إلى:

إلقاء الضوء الكاشف على بعض مساهمات الشيخ " ثندو" "مدابو" في مجال تطور اللغة العربية وآدابها.

وبعد ذلك فيرمي إلى:

أ- توضيح مدى العناية الجادة التي أولاها علماء كنو للإسلام، واللغة العربية وخاصة علماء مدابو.

ب- إيجاد مرجع شامل يرجع إليه عند الحاجة إلى التعرف لمخطوطات الشيخ آدم وبيان قيمتها العلمية، وما ينطوي عليها من العلوم والفوائد.

ت- إبراز القيم الفنية لقصائد الشيخ آدم المدابوي التي قالها في المديح.

أهمية البحث

إن أهمية هذا البحث تتجلى في النقاط التالية:

1) أنه يعكس لنا المساهمات التي قام الشيخ آدم ثندو بها وعلماء كنو في إحياء اللغة العربية وتطوير دراستها.

2) أنه يصور لنا مدى نضج أفكار الشيخ آدم ثندو وعلمائنا الكنويين ومحاولتهم في توسيع معلوماتهم واهتمامهم بالفنون التي يتخصصون فيها والإلمام بها إلماما تاما.

3) أنه يوضح لنا الوعي والتقدم العلمي والتثقف العربي الذي بلغ فيه الشيخ آدم ثندو علماء كنو.

4) أنه يحث الباحثين على تتبع آثار الشيخ آدم ثندو والعلماء المواطنين وإبراز ما فيها من القيم والفوائد الغزيرة.

مشكلة البحث

لقد ثبت أن لحارة مدابو دور كبير في نشر اللغة العربية وآدابها ومع هذا كله فقد أحس الباحث بأن الباحثين لم يعطوا الحارة وعلماءها ومعاهدها ما يستحقونه من العناية والاهتمام في البحوث والدراسات الأكاديمية ،فشعر الباحث بناء على جميع ما تقدم أن هناك ثغرات لا بد من سدها فنوى القيام بهذه المهمة والإجابة عن الأسئلة التالية.

- من الشيخ عبد الرحمن السيوطي؟

- ما المساهمات التي قام بها الشيخ آدم في تطور الدراسات العربية في مدينة كنو؟

- ما الدور الذي لعبه الشيخ آدم بن عبد الرحمن السيوطي في ترويج نهضة اللغة العربية؟

- ما الآثار العربية التي خلفها الشيخ آدم بن عبد الرحمن السيوطي في فن المديح ؟

- وما قيمة هذه الأشعار في المجال الأكاديمي؟

إن هذه التساؤلات وما أشكلها هي التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها إن شاء الله.

حدود البحث

يقتصر هذا البحث على النقاط الآتية:

1- دراسة حياة الشيخ آدم ابن عبد الرحمن السيوطي المدابوي.

2- تاريخ مدينة كنو, وحارة "مدابو" ومعاهدها وثقافتها وأثرها في الشيخ آدم.

3- قصائد الشيخ آدم ثندو التي قالها في المديح: خصائصها وقيمتها الفنية مع إبداع الشيخ. وما يتعلق بالموضوع مما سينقطع عنه البحث ويتركه لغيره.

منهج البحث

إن منهج هذا البحث مزدوج بين المنهجين: الإستقرائي والوصفي، حيث إنه يعتمد فيه الباحث على سرد الوثائق والبحوث المدونة عن تاريخ مدينة كنو والشيخ آدم ثندو، ثم يقوم بتحليل قصائد الشيخ تحليلا أدبيا وفنياً.

مراجعةالدراسات السابقة:

قد كتب رسائل جامعية متصلة بشخصية الشيخ آدم. تناولت الدراسة كلها في مستوى واحد- الليسانس – ومقدمة إلى أقسام مختلفة في بعض جامعاتنا النيجيريا, ويمكن للباحث بعد هذا العرض السريع عن هذه الرسائل وأصحابها أن يصرح بأن بغية تلك الرسائل خارجة عن موضوع الرسالة التي سيقوم بتقديمها من هيئات شتى كما يأتي:

1- الشيخ آدم الملقب بـ " ثندو" بحارة مدابو بمدينة كنو حياته ومؤلفاته. قدمه مصطفى حسن علي إلى قسم الأديان شعبة اللغة العربية جامعة جوس، سنة 1410هـ -1990م, وفيها ثلاث فصول.

وترمي هذه الرسالة إلى دراسة شيء من حياة الشيخ آدم وشخصيته ودوره في مجال اللغة العربية وتعليمها بحارة مدابو ومدينة كنو غير أنه فات صاحب الرسالة تناول جانب مهم من حياته ألا وهو الحديث عن المساجلة العلمية التي دارت بين الشيخ وبعض معاصريه في هذه المدينة من أهل العلم والفقه، كما فاته الحديث عند دراسته تلك عن بعض مساهمة الشيخ في مجال دفع عجلة اللغة العربية وقصائده.

2- مساهمة الشيخ آدم بن عبد الرحمن السيوطي الملقب بـ" ثندو" في الثقافة العربية. قدمه علي إبراهيم يَلْوَا إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو سنة 1994م

وهذه الرسالة كذلك لم يتناول صاحبها ذكر دور علماء مدابو بمن فيهم الشيخ آدم ثندو في تجشم متاعب تعليم اللغة العربية في الحارة والمدينة وعن شاعرية الشيخ. وفيه ثلاث فصول.

3- الشيخ آدم ثندو وآثاره العربية. قدمه عمرو جبريل مسكواني إلى قسم اللغة العربية جامعة بايرو سنة 1998م

والرسالة الثالثة، في موضوع شخصية هذا الشيخ دراسة مجردة عن الشرح والتحليل والتعليق، كما أنها خالية من ذكر مميزات مؤلفات الشيخ على مؤلفات غيره من معاصريه من العلماء.

4- آية الله الشيخ ثندو النيجيري الكنوي المدابوي وتحقيق كتابه "خذ الدرر والياقوت قبل أن يفوتا" قدمه سيوطي محمد حسن إلى قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية الفدرالية كنو (F.C.E) سنة 1998م

والرسالة الرابعة تناولت مسائل ذات صلة بسجدة السهو على ضوء الفروع من المسائل الواردة في الفقه المالكي دون الحديث عن دور الشيخ في تطور اللغة العربية.

5- نماذج من فن المديح عند بعض علماء ولاية كبِّ في القرن العشرين الميلادي. قدمه أحمد الصديق إلى قسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو, لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية. وتحتوي هذه الرسالة على بابين ولكل باب ثلاثة فصول, والفصل الأول من الباب الأول فيه مقدمة البحث ومشكلته وحدوده وأهدافه ومنهجه وأهميته والدراسات السابقة.

والفصل الثاني تحدث عن تطور المدح في عصور الأدب. وفي نيجيريا, وذكر الموقع الجغرافية لإمارات كبِّ, وحياتها من جميع جوانب الحياة. أما الفصل الثالث ذكر بعض علماء مدينة كبِّ وعرض موجز لبعض قصائدهم المديحية. والفصل الأول من الباب الثاني عرض لبعض القصائد, والفصل الثاني تحدث عن الأوزان والقوافي, أما الفصل الثالث فحديث عن تأثرهم بغيرهم من الشعراء, وما يؤخذ منهم,ثم الخاتمة.

فإن جل ما كُتِب عن الشيخ ثندوا في المجالات الأكاديمية دراسة ذات صلة خاصة بشخصيته المتميزة في العلوم العربية دون أن يتطرق أحد الباحثين ممن درسوا حياة هذا العالم الكبير إلى شيء ذي بال من مساهماته في الشعر العربي وخاصة فن المديح.

وبذلك كله يرى الباحث أن عمله الذي سيقوم به نحو شخصية ومساهمات هذا الشيخ في مجال علوم اللغة العربية وآدابها يتصف بأولية الشكل والمضمون في كل المستويات الجامعية إن شاء الله.

التبويب

يحتوي هذا البحث على خمسة فصول:

تكلم الباحث في الفصل الأول الذي يعتبر بالمقدمة عن مبررات البحث, من عنوان البحث, وأسباب اختيار الموضوع والأهداف والأهمية ومشكلة البحث ومنهج البحث والدراسات السابقة وتفصيل البحث.

والفصل الثاني عبارة عن السيرة الذاتية للشيخ آدم ثندو, من ميلاده ونشأته والبيئة التي عاش فيها وثقافته وعلمائه وتلامذته وأولاده ووفاته وإنتاجاته.

والفصل الثالث عرض لثلاث قصائد من قصائد الشيخ آدم المديحية وهي:قصيدة فتح الرحمن. وقصيدة فيض الإلهي. وقصيدة الهمزية مع التعليق.

والفصل الرابع عبارة عن التحليل اللغوي والأدبي لثلاث قصائد التي في الفصل الثالث, من حيث الشكل والمضمون, ومن حيث الظواهر الفنية, ومن حيث العيار الموسيقي.

أما الفصل الخامس فعبارة عن الخاتمة, خلاصة الأفكار الواردة في البحث , ثم نتائج البحث, والتوصيات والملاحظات. ثم المصادر والمراجع.

الفصل الثاني: السيرة الذاتية للشيخ آدم ونشاطه العلمي:

هو الشيخ آدم بن الشيخ عبد الرحمن السيوطي الكبير بن عمر رحمه الله تعالى الملقب بثندو[6] الذي تفرقت منه أغصان شجرة العلوم الفقهية ومدرستها في الآفاق والبلدان. ويقال له صاحب الحجج. أما والدته فهي حبيبة بنت عمر من حارة مادغاوا.[7]

ولد هذا الشيخ في أوائل القرن العشرين في سنة (1909م) بحارة مدابو في مدينة كنو, وكان والده عالما كبيرا وفقيها,أخذ عنه نصيبا من القرآن الكريم, ثم إلى حارة أدكاوا يتعلم القرآن,ثم سافر إلى قرية ظكوا(TSAKUWA) وبقي بها حتى حفظ قسطا كبيرا من القرآن ثم عاد إلى مدابو.

توفي والده وهو صغير, بعد ختنه, فنشأ يتيما عند أخيه معلم عمر ببّن مالمي.

[6] يلقب بثندو لأنه كان آخر ولد لأبويه , فلقب بذلك تشبيها له بالأصبع الزائد في جنب اليد.

[7] يعقوب أحمد دوكاوا – مكانة اللغة العربية في ولاية كنو ص:101

وبعد رجوعه من ظكوا(TSAKUWA) أخذ يتعلم الفقه والحديث من أخيه مالم عمر ببّن مالمي ومالم إبراهيم ببّن مالمي. [8]

وقد جدّ الشيخ آدم ثندو في التعليم واجتهد وبدت حذاقته حتى كان مرجعا كبيرا في كل ما يسمى مسائل الخلاف الفقهية, ولم يزل حتى جعله العالم الكبير (ببّن مالمي) خليفة له فبدأ يتولى التدريس في ذالك المعهد في حضور الشيخ وفي غيابه.

مع أنه لم يتول المنصب الذي تولاه أجداده وهو منصب ببّن مالمي نا مدابو, لكنه أنشأ معهدا كبيرا بجهوده الجبارة في بيته يأوي إليه طلبة العلم ليلا ونهارا حتى عد ممن يشار بالبنان في معرفة كتاب مختصر الخليل .

يتضح هنا أن الشيخ آدم ثندو قد نشأ في بيت العلم والمعرفة وتأثر تأثيرا كبيرا بعلماء عصرها لذا كثر فيه العلماء والإنتاج العلمي لما فيهم من الخلافات وخاصة بين التيجانيين والقادريين في مسائل مختلفة نحو مسألة الصدقة للميت في يوم الثالث والسابع والأربعين من موته وفي تمام السنة. وقضية القبض والسدل في الصلاة.ومسألة ضرب البندير وغيرها.

هذا, وكان الشيخ آدم عبد الرحمن ثندو من المؤيدين للقول بجواز الصدقة للميت في الأيام: الثالث, والسابع, والأربعين,بعد الوفاة. وقد ألّف الشيخ كتابا يؤيد هذا الرأي. وصار الكتاب مرجعا يُعَوَّل عليه في هذا الرأي.

وقد اعترف كثير بجهوده في تأليف هذا الكتاب ومدحه بعض العلماء بأبيات.

يقول الشيخ عبد الله مادحا لهذا الكتاب:

أيا هذا الذي أظهرت منا * كتابا شافيا عند الأريب

جزاك الله عن قول فصيح * جلي واضح عند اللبيب

[8] المرجع السابق . ص:109

كتابا قد جلا الأشكال عنا * وزحزحنا عن اللبس المريب

جزاك الله عن قول سديد * جلا الأصدقاء أعداء القلوب

هكذا نشأ الشيخ آدم ثندو بين هذه المناقشات والمنافسات بين العلماء في عصره.فكان لذلك دور فعال في تكوينه علميا وأدبيا.

علماؤه وتلامذته:

وكما هو معلوم أن من جمع العلوم لابد أن يطوف بين علماء مختلفة. فإن هذه الشخصية لقي علماء كثيرين. وكان أول من بدأ تعلمه عنده هو والده. لذلك نقول شيوخه هم:

(1) الشيخ عبد الرحمن السيوطي. (والده)

(2) الشيخ عمر بن عبد الرحمن ببن مالمي (أخوه)

(3) الشيخ إبراهيم بن الشيخ عمر ببن مالمي.

(4) مالم محمد نَدُوَالَ.

(5) الشيخ مالم حطيجه.

و من أصدقاء الشيخ آدم هو الشيخ محمد الناصر الكبري الذي يأتي إليه لتحليل بعض المسائل الفقهية.[9]

لما وهب الله الشيخ من المعرفة التامة بكتاب المختصر الخليل وغيره من الكتب الفقهية واللغية ككتاب التخفة والرسالة والآجرمة كان الناس يأتون إلى بيته ليتعلموا منه.

ومن تلامذته المشهورين:

(1) الشيخ معلم محمد ببن مالمي مدابو

(2) الشيخ أبوبكر محمود غومي

[9] مقابلة مع معلم عثمان طن ظوهو مدابو 25-7-1995م

(3) الشيخ سنوسي غُمْبي

(4) الشيخ إبراهيم نَرُوَنْ طَوْرَوا

(5) الشيخ عثمان طن ظوهو مدابو وهو حفيده

(6) الشيخ محمد أحمد الذي تولى التدريس في معهد الشيخ آدم

(7) الحاج محمود نمالم نقادي

(8) مالم ثاني بغوبري

(9) مالم سعيد

(10) مالم صالح بغوبري

(11) مالم جعفر كشناوي

(12) مالم حسن حساس

(13) الأستاذ علي سلغ في حارة كابوايا

(14) مالم زكرياء (حفيده)

(15) مالم سنوسي (حفيده)

(16) مالم محمد الثالث وهو خليفة ببن مالمي

(17) مالم طن عثمان

(18) مالم عمر نَكُرْنْر أسبي.

(19) الشيخ حسن طن جا

(20) الشيخ ثالث كتشنا

(21) الشيخ أب سعاد مدابو

(23) الشيخ أبّ مَيْ مقاما مدابو

(24) الشيخ موسى يوسف نائبي

أولاده:

رزق الله الشيخ بأولاد كثيرة توفي منذ الصغر,وتبقّى منهم ولد وخمسة بنات وأسماؤهم كالآتي:

(1) الأستاذ بشير

(2) السيدة ميمونة

(3) السيدة فاطمة (ثِما)

(4) السيدة زينب (لامي)

(5) السيدة خديجة (مغاجيا)

(6) السيدة حليمة السعدية

وما زال هؤلاء على قيد الحياة إلى يوم كتابة هذا البحث.

تعليمه وتعلمه:

كانت حارة مدابو على وجه الخصوص ومدينة كنو على وجه العموم مركزا علميا من أهم المراكز العلمية المشهورة وخاصة في القرن العشرين وقبله وتركزت هذه الدراسة على القرن العشرين الذي عاش فيه الشيخ آدم .

بعد أن حصل الشيخ على العلوم القرآنية توجّه نحو أخيه معلم عمر للعلوم الفقهية.ولكثرة اجتهاده وحذاقته جمع علوما كثيرة,وشاع ذكره بين طلبة العلم. مكث زمنا طويلا مع أخيه معلم عمر يتعلم منه, ومعلم إسماعيل تَنْكُو و معلم حسن بَبّن مالمي. فلما رأى أنه حصل على العلوم التي تعوّد عليها طلاب المعهد استأذن أخوه بأن يسافر ليوسع معلوماته وثقافته فأذن له بذالك,فسافر إلى أماكن مختلفة منها غُسَوْ (Gusau) ومكث عند معلم يهوذا غُسَوْ وتعلم منه الكثير ثم عاد إلى مدابو.

واستأذنه أخوه مالم عمر مرة ثانية ليطوف في البلاد لنشر العلوم والدعوة والإرشاد, ومن البلاد التي زارها الشيخ آدم ثندو مدينة

كتشنا (katsina) و سُوكُوتُو(Sokoto) و مدينة برنو(Borno) و مدينة جبيا(Jibya) مكث فيها زمنا طويلا حتى رزقه الله بنتا سميت فاطمة ولقبت ب(ثما)[10](chima). وزار لاغوس(Lagos) ومكث أيضا زمنا طويلا في مدينة كَفْفي(Keffi) التي في ولاية نسراوا(Nasarawa) اليوم.ومن المدن التي زار أيضا مدينة دَمَغَرَمْ(Damagaram) أحد الولايات بجمهورية نيجير(Niger), ثم دعاه أخوه ليعود إلى أهله.

فبعد عودته أسس معهده ببيته حيث يقوم بالتدريس مساءا, ويكون ببيت معلم عمر ببّن مالمي صباحا لتلقي العلوم إلى أن توفي معلم عمر ببن مالمي وخلفه بعده معلم حسن ببّن مالمي,ولم يزل الشيخ آدم ثندو يأتي كما تعود إلى بيت ببّن مالمي صباحا ثم يذهب إلى بيته يتلقى العلوم مساءا. ولما تولى معلم إبراهيم منصب (ببّن مالمي) وما زال الشيخ آدم ثندو على حاله يذهب إليه الناس مساءا ويعلمهم فنونا مختلفة من الفقه, والتفسير, والتصوف, واللغة.

وكان قد تبين ذلك فيما حدث بينه وبين العلماء عن قضية القبض والسدل في الصلاة,فلما ألف كتابا وسماه (بشارة السادل) يدئم فيه حجج السدل. قرأه أحد العلماء فرد على الشيخ آدم وسبه في كتابه المسمى (مقامع الرد).ولما اطلع الشيخ آدم على الكتاب ردّ عليه أيضا بدون سب في كتاب سماه (سيوف القواطع في قطع حجج صاحب المقامع).

بيئته :

إن الشيخ آدم ثندو من مواليد مدابو إحدى حارات مدينة كنو. ومدينة كنو كما هو معروف كسائر بلاد هوسا بوجه عام يكنفه شيء من الغموض التاريخي وذلك -كما يبدو -لعلة واحدة وهي عدم تدوين حوادث وحقائق تاريخية لهذه المنطقة في عصورها الأولى. فإن التدوين في تاريخ هذه المنطقة إنما بدأ في السنوات المتأخّرة وهذا بعد وصول الإسلا م إليها.

[10] - لقب يلقب به من سميت بفاطمة في بلاد هوسا فتسمى (ثما). بخذف الفاء وتحويل الطاء ثاء.

وقد أشار إلى ذلك الشيخ محمد بلّو بن الشيخ عثمان بن فودي في كتابه إنفاق الميسور.[11]

ولأجل هذا نجد أن كتاب تاريخ بلاد هوسا يعتمدون على الأخبار الشفوية المتوارثة جيل عن جيل,وتاريخ مدينة كنو لم يسلم من هذه الكارثة.

ومع هذا وذاك فإنّنا سنحاول إثبات ما وجدناه من المصادر الموثوقة بها. فإن تأسيس هذه المدينة يرجع إلى ما قاله المؤرخون أن جماعة من قبائل هوسا جاءوا إلى المدينة من قرية تسمى غيا(Gaya), وهي قرية واقعة في شرق مدينة كنو تحت زعيم لهم يسمّى غييا (Gayya)وكما يقال أنّ هذه القبيلة هاجرت من الحبشة ومن اسم الزعيم وجدت القرية اسمها.

وبعد استيطانهم في هذه القرية جاء فريق منها إلى كنو الحالية تحت رئاسة رجل يسمى دال(Dala)وهدفهم الصيد فيها واستقاموا تحت تلّ وسمّي فيما بعد باسم الرئيس (دال) وصار الناس يأتون إليها من أماكن مختلفة للصيد والزراعة بـما رزرق الله ذلك المكان من أرض خصبة, ودواب مختلفة.

وذهب المؤرخون أيضا إلى أنّ أوّل من استوطن البقعة الواقعة تحت تلّ (دال) رجل كان يسمّى (كنو) (Kano) وهو حدّاد يصنع آلات الصيد ويبيعها للسكّان الذين يسكنون فوق التلّ,ويقال من اسمه وجدت كنو اسمها,وتطور الأمر إلى أن صار الناس يأتون إلى هذه المدينة لمزاولة صناعة الحدّادة وسائر الصناعات والمهن.

ويرى بعض المؤرّخين أنّ بداية هذه المدة من عام 850م_ 1000م وهي فترة التكوين والتوسّع لهذه المنطقة و فيها بدأ الناس يحتشدون في المنطقة, فكان الناس في حاجة إلى منْ يقوم بربط شئونهم اليوميّة, والدفاع عن الضعفاء, وحمايتهم من ظلم الظلمة.

[11]- إنفاق الميسور:ص:5

ثم جاء بعده رجل يسمى (بَغَوْدَا) (Bagauda) وهو من سلالة رجل يسمى (بياجدّ) الذي يقول بعض المؤرخين إنه جدّ قبيلة هوسا الأول.[12]

جاء بغودا من مدينة دورا(Daura) إلى كنو وأسس أول إمارة سياسية فيها, أخضع الناس إليها وحاول في تنسيق ظروف المدينة.

ويعتبره أنه من وضع اللبنة الأولى لسياسة هذه المدينة وذلك عام 999م مع ما صادفه من صمود بعض القبائل لتلك المحاولة.

الجو الذي نشأ وترعرع فيه الشيخ آدم:

نشأ الشيخ في مدينة كنو وهي وسط الشمالي من بلاد هوسا.و يحدها من ناحية الشرق بلاد برنو وبوثي.ومن ناحية الغرب يحدّها ولاية كتشنا ويحدها بعض بلاد زاريا من الجنوب.ومن الشمال بلاد مملكة نيجير.

أما عدد سكانها حسب تعديد الذي قام به الحكومة الفدرالية النيجيرية عام 2005م يبلغ عددهم أكثر من عشرة مليون تقريباً.

والحياة السياسية لهذه المدينة أسّست تأسيساً قيّمًا في أيّام الأمير الثالث وهو غاج ماسو(Gaji masu)الذي استطاع أن يجعل جميع السكّان تحت زعامته نتيجة سياسة سليمة مع السكّان بدل القتال والهجوم.وقام بتوسيع المدينة وحصرها بالسور وبنى أبواباً لتحصين المدينة عن هجوم الأعداء.

القبائل التي خالطها الشيخ :

---

[12]- راجع هذه الكتب للإيضاح:

1- الإعلان بتاريخ مدينة كنو – الشيخ آدم نمعج

2- History and Political Culture of Kano-Jhon Paden

3- Tarihin zuwan Muslims Africa da Kasar Hausa-Habibu Abdullahi Sarki

4- Labarun Hausawa da makotansu Littafi 2

5- Kano ta Dabo ci Gari-Abubakar Dokaje

لِما نالته المدينة كنو من اتساع واسع وشهرة في العالم, جعل التجّار يأتون إلى كنو لإجراء عمليّة التجارة فيها واستوطها بعض القبائل منها:

(1) القبيلة الفلاتية:

هذه القبيلة جاءت إلى بلاد هوسا في عام 500هـ 1106م. وأول مجموعة جاءت إلى هذه المنطقة من قبيلة فلاتية تسمّى (تورانكاوا) (Torankawa)تحت زعيم لهم يسمّى موسى جكولو.وقيل إن هذه المجموعة من فوتا في السنغال واستوطنت في قرية (قونّي) (Kwanni) الواقعة الآن في جمهورية نيجير, وواصلت إلى قرية (غوبر) واستوطنت هناك. ومن ذرية موسى صدر الشيخ عثمان بن فودي المجدّد الكبير في شمال نيجيريا في القرن التاسع عشر الميلادي. وإنّ هذه القبيلة موجودة ومنتشرة في بلاد هوسا.

إنّ الحياة السياسية لهذه المدينة أسّست تأسيساً قيّمًا في أيّام الأمير الثالث وهو غاج ماسو(Gaji masu)الذي استطاع أن يجعل جميع السكّان تحت زعامته نتيجة سياسة سليمة مع السكّان بدل القتال والهجوم. فأخذوا ا إنّ الحياة السياسية لهذه المدينة أسّست تأسيساً قيّمًا في أيّام الأمير الثالث وهو غاج ماسو(Gaji masu)الذي استطاع أن يجعل جميع السكّان تحت زعامته نتيجة سياسة سليمة مع السكّان بدل القتال والهجوم.

وقام بتوسيع المدينة وحصرها بالسور وبنى أبواباً لتحصين المدينة عن هجوم الأعداء. 1449-1485م 787-750هـ.

ومنذ هذا التاريخ استوطنت القبيلة في مدينة كنو في أماكن مختلفة وحدث بينها وبين الهوسويين علاقة التزاوج لذلك تجد سلالات جديدة في المدينة,إما فلاتية هوسوية أوهوسوية فلاتية.

وهذه القبيلة على عشائر منها:دمبذاوا,وجوباوا,وتورنكاوا,وسلباوا (Dambazawa) (Jobawa)و (Torankawa) و(Sullubawa)[13]

[13]- (1) إقرأ الكتب التالية:

(2) Tarihi Rubutacce a Hausa=Frof. Ibrahim Yaro Yahaya p.10

(3) Labaran Hausawa da makwabtansu p.36-38

ولما قاد الشيخ عثمان بن فودي الجهاد التجّديدي في القرن التاسع عشر الميلادي أطاح الفلاتيون بملك الهوسويين في جميع إمارات هوسا,ومن بينها إمارة كنو حيث استولى عليها الفلانيون عليها بعد أن أطاحوا بالأمير محمد الولي بن ياجي عام 1806م وأصبح سليمان أميراً جديداً على مدينة كنو(من الفلانيين),ثم المعلم دابو(Dabo) ومازالت ذريته هي الحاكمة إلى الآن.

(2) **العرب:**

ماحدد المؤرخون المدة الزمنية التي جاء العرب إلى كنو,ما كاد تتفق عليه هو بأنّ العرب جاءوا إلى المدينة قبل ظهور الإسلام في المدينة وقبل إتيان بياجدّ في القرن التاسع الميلادي إلى بلاد هوسا. وقد قيل أنّ مجموعة من العرب جاءت إلى كنو واستوطنت حول تلّ دال(Dala) وفي حارة تسمّى مدابو(Madabo) وهؤلاء العرب مسلمون. وأسّسوا المسجد الأول في المدينة.[14]

وهناك علاقة بين مدينة كنو وبعض مدن العرب وهذا قبل مجيئ الإسلام إلى المدينة, وهذه العلاقة تجارية.وأهمّ هذه المدن من مدنٍ ليبيةٍ كمدينة فزان وغدامس وبرقة وطرابلس.[15]

ودُكر أنّ العرب جاءوا إلى كنو للتجارة لأنها عملية راسخة في قبيلة هوسا. وكان الهوسويون يمارسون التجارة منذ وقت مبكر من تاريخهم يذهبون إلى أماكن مختلفة ومن بين تلك الأماكن مدن ليبية وبعض دول الشمال الإفريقية.

---

[14] A - History and Political Culture of Kano- v.1 Page 126

B-Tarihin zuwan Muslunci Africa da Kasar Hausa-Habibu Abdullahi Sarki, page 130

[15] - (1) إسماعيل إدريس, رسالته لنيل الماجستير: التفسير والمفسرون في كنو ص: 16-18

وقد سهلت العملية التجارية بفتح الطرق في الصحراء الكبرى وذلك في القرن الحادي عشر الميلادي, وكان العرب يأتون إلى كثير من مراكز تجارية في بلاد هوسا وخاصة مدينة كنو حيث سكنوا في حارات مختلفة في داخل المدينة, فالذين جاءوا من طرابلس وغدامُسْ سكنوا في حارة (دندلن توراوا) (Dandalin turawa) والذين خرجوا من غداموس سكنوا في حارة (جنغو) (Jingau) و(ألفندكي) (Alfindiki) وحارة (زيتاوا)(Zaitawa)فكانت هي مسكن المصريين. أما قبيلة شِوَا فسكنوا في حارة (سوداوا) (Sudawa) ولم تزل بقية سلالة هؤلاء العرب في هذه الحارات.[16]

ومما ساعد في مجيء العرب إلى مدينة كنو زيارة العلماء والدعاة لنشر الدعوة الإسلامية. ومن هذه الوفود:

وفد من الوناغرة قيل إنهم من أصل عربي جاءوا إلى كنو في عهد أمير كنو ياجي طن ظاميا 1349(-1385م 750-787هـ) وأسلم على أيديهم وغيّر اسمه إلى عليّ وصيّر الإسلام دينًا رسميًّا للإمارة.

وكثر ورود العرب في عهد أمير كنو محمد رُمْفا(1463-1499م)للدعوة ومن بينهم الشيخ الشهير عبد الكريم المغيلي التلمساني,قرّبه الأمير إليه وصار مدرّسًا ومرشدا وطلب منه الأمير بأن يكتب له كتابا دستوريا في سياسة الرعية وفق التعاليم الإسلامية,فكتب له كتابا وسمّاه (تاج الملوك فيما لهم وعليهم) وأسكنه الأمير في حارة زَنْغُو(Zango) حتى غادر هذا الشيخ المدينة وترك ابنين.ولم تزل زريّته موجودة في تلك الحارة.وتذكر بعض المصادر إن الشيخ عبدالرحمن السيوطي زار كنو في أيّام ذاك الأمير.

ومن العرب من جاء إلى كنو في عهد أمير كنو قي سكي بن عبدالله (Kisaki) (1509-1568م) أمثال الشيخ التونسي الذي جاء

[16] 3- Tarihin Hausawa da makwabtansu: Book 2

بكتاب الشفا للقاضي عياض.والشيخ عبدالسلام الذي جاء بكتاب الجامع الصغير وكتاب المدونة.والشيخ عبدالله مع جماعته,فكان قارئاًومفسرًا للقرآن الكريم فصار يفسّرالقرآن في قصر الأمير.

وفي عهد أمير كنو كَنَارُوَا(Kana Ruwa) (1731-1742م)جاء آخرون من العرب وهم مفسرون للقرآن الكريم وسكنوا حارة مدابو(Madabo) ومن بينهم الشيخ طاهر.[17]

وكذلك في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي وهذا وقت قيام حركة التجديد تحت قيادة الشيخ عثمان بن فودي حيث قويت العلاقة بين الدول الإسلامية في نيجيريا وبين سائر الدول العربية.فكثر إتيان العرب إلى إمارات هوسا,ومنها إمارة كنو كما ذكره الشيخ عبدالله بن فودي في كتابه إبداع النسوخ.

أما في أوائل القرن العشرين وخاصة بعد إنشاء مدرسة العلوم العربية في كنو عام 1934م جاء كثير من العرب إلى مدينة كنو لقصد التدريس في المدرسة وأمثالها.

وكذلك بعد الاستقلال النيجيري عام 1960م وكان بين النيجيريا وكثير من دول العرب علاقات دبلوماسية.وأتاح لهم فرصة نشاطات مختلفة في مدينة كنو, منها إفتتاح المركز الثقافي المصري, وقنصلية الدولة السعودية, والسودانية, والليبية فيها. فكثر فيها أجناس العرب مختلفة من السعوديين, والمصريين, والسودانيين, والجزائرين, والليبيين, والمغربيين, والعراقيين.

وحدث بين بعض هذه الأجناس العربية الزواج بينه وبين بعض الأهالي وخاصة قبيلة هوسا وقبيلة الفلاتية مما أنتج سلالة متميزة انحدرت من جنسين:جنسية عربية وجنسية هوسوية فلاتية. والأمر لم يزل على هذا الضرب إلى اليوم.

[17] شيخ آدم نمعج: ترقيق ما قسا في تاريخ أولياء بلاد هوسا. مخطوط

(3) قبيلة كانوري:

ذهب الباحثون إلى أن هذه القبيلة من مدينة برنو(Borno).ودخلت في مدينة كنو إما أيام استيلاء برنو على مدينة كنو عام 1734م يأتون لأخذ الجزية.وأيام الجهاد التجديدي في القرن التاسع عشر الميلادي بحيث تكافتت هذه القبيلة مع قبيلة هوسا ضد القبيلة الفلاتية التي خرج أكثر قادة تلك المعارك منها.وكذلك أيام حركة مهدية تحت زعامة رابي (Rabe) عام في 1890م فزعزعت كيّان دولة برنو وأدّى إلى انتشار تلك القبيلة مختلفة من بلاد هوسا منها مدينة كنو.ولهذه القبيلة حارات معينة تسكن فيها منها زنغو بريبرب(Zango Barebari) ,وفغى(Fagge).واليوم هذه القبيلة صارت جزءاً مهما في مدينة كنو.[18]

(4) قبيلة نوفى:

هذه القبيلة غالبا من ولاية نيجر(Niger) إحدى ولايات شمال نيجيريا حاليا.ودخلت مدينة كنو كما يظن المؤرخون نتيجة هجوم قامت به قبيلة جُكُنْ عليهم في القرن السابع عشر الميلادي.وانتشرت هذه القبيلة في كنو وتسكن في حارات متفرقة وخاصة حارة تُدُن نُفاوا(Tudun Nufawa)وتتديّن بدين الإسلام.[19]

(5) قبيلة يوروبـا :

كانت هذه القبيلة من جنوب نيجيريا مع وجود فرع منها فـــي شمالها,وخاصة مدينة إلورن (Ilorin).

وجاءت إلى مدينة كنو حوالي القرن السابع عشر الميلادي لإجراء عملية تجارية فيها.وحدث بينها وبين قبيلة هوسا الترابط والتزاوج.وتسكن هذه القبيلة غالباً في حارة أياغي(Ayagi) و

[18] - Tarihin zuwan muslunci Africa da kasar Hausa , Page : 138

[19] John Nabar Padan: the Influence of Religious Elites on Political Culture and Community in Kano,Nigeria. PHD dissertation. P.124-127

ياكاسَيْ(Yakasai) و سابونغري(Sabon gari) وأغلبيّة أهلها يتديّنون بدين الإسلام.[20]

(6) الطوارق:

جاءت هذه القبيلة من أقدس الموجودة حليًّا في جمهورية نيجيـر (Niger) وكان بين هذه المدينة وإمارات هوسا علاقات علمية وثقافية قديمة.ذهب إليها الكثير وجاء منها كثير من علمائها إلى بلاد هوسا,منهم الشيخ جبريل بن عمر,أستاذ لكبار علماء بلاد هوسا كالشيخ عثمان بن فودي وعبدالله بن فودي.وهناك علاقة تجارية بينها وبين بلاد هوسا.وقيل إنها جاءت هذه القبيلة إلى كنو في القرن التاسع عشر الميـلادي واستوطنت في حارة أغَدَساوا(Agadasawa) ومن اسم بلدهم وُجِد اسم الحارة.

وهناك قبائل أخرى جاءت إلى مدينة كنو من داخل نيجيريا وخاصة من الجنوب.وأهمها قبيلة إغبو (Igbo) وقبيلة تيف (Tiv) وقبيلة إسيكر (Itesekiri) وقبيلةبابر(Babur)وقبيلة إغالا (Igala) وقبيلة إدوما (Idoma) وقبيلة إجو (Ijaw) وغيرها من القبائل.

وقبائل جاءت من أوروبا وآسيا, كالهنود والأوروبيين واللبنانيين والصينيين وغيرهم. وهناك بعض القبائل التي جاءت إلى المدينة من الدول الإفريقية كجمهورية غانا وكمرون وسنغال ونيجير وتشاد.

الحياة الـدينية في كنو:

ذهب المؤرخون على أن الدين السائد بين سكان كنو الأوائل هو عبادة صنم مشهور فوق تلّ دال(Dala) يسمّى (ظُمْبُرْبُرا)(Tsumburbura) تحت رعاية رجل قوي يسمى بربوشى(Barbushe) وهذا الرجل هو من يتولى جميع شؤون ذاك الصنم ولا يزوره أحد إلاّ في آخر السنة حيث يجتمع الناس لأداء شعائر الدين ولمشاهدة ذاك الصنم.ويكون هذا الاحتفال سنوياً,ولم

[20] - المرجع السابق, ص: 132

يزل الناس على هذا الدين إلى أن استولّى عليهم ماغُزاوا(Maguzawa) فبدّلوا هذا الدين بدين جديدٍ وهو بوري(Bori). وهي عبادة جنّ فنسبوا لكل ظاهرة من ظواهر الحياة جنّ معيّن.

وفيه من يقوم بعبادة بعض الظواهر الطبيعية وخاصة الأشجار كما أثبته المؤرخون أنّ بعض الناس يعبدون بعض الأشجار في أماكن مشهورة في مدينة كنو وهي جَاكَرَ(Jakara) وبَقِرُوا(Bakin ruwa) بقرب سوق كُرْمي المشهورة يعبدون هذه الأشجار ويقدّسونها وقدّمون إليها الذبائح.

وما زالوا على هذه الأديان إلى أن دخل الإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي في عهد الأمير عليّ ياجي طن ظاميا لمّا اعتنق الإسلام وقام بمحاربة تلك الأديان وأصحابها,وحلّ محلها الإسلام وتعاليمه في جميع أنحاء المدينة وضواحيها,وتلاشت جميع مراسيم هذه الأديان.

فإن الإسلام اليوم هو الدين السائد في المدينة.وأكثر من 99% من سكّان المدينة مسلمين.[21]

الحياة الاقتصادية في مدينة كنو:

إنّ عملية التجارة في بلاد هوسا عملية قديمة.كان التجّار يأتون من بلاد العرب وشمال أفريقيا إلى بلاد هوسا للبيع والشراء منذ زمن بعيد.

وهناك قوافل تجارية من بلاد هوسا تتجه إلى تلك المناطق مثل غانة(Ghana) التي يذهبون إليها للإشتراء الطنبول(Goro) لذلك كانت لبلاد هوسا مراكز تجارية هامة يأتي إليها كبار التجّار من

[21] علي أبوبكر (الدكتور): الثقافة العربية في نيجيريا, ص:120.

العرب والأفارقة يحملون إليها التوابل وبضائع أخرى كالطربوش والتمر والبخور ثم يشترون العبيد والجلود.

ومدينة كنو من أهم المراكز التجارية في بلاد هوسا يأتي إلى أسواقها الشهيرة العربُ وغير العرب . وخاصة سوق كُرْمِي(Kurmi) المشهور إلى الآن. يأتون التجار من شمال إفريقيا عبر الصحراء الكبرى ثم إلى برنو ثم يصلون إلى كنو,وعبر أقدس إلى كتشنا ثم يصلون إلى كنو, فامتلئت أسواق كنو ببضائع مختلفة .وتعوّد أبناؤها على مزاولة التجارة والسفر لأجلها إلى جميع أنحاء العالم.

لقد كانت التجارة أسبق من الإسلام كما اتفق عليه المؤرخون لأن فتح الطرق عبر الصحراء الكبرى قوى العلاقة بين شمال إفريقيا وجنوبها وذالك منذ القرن الحادي عشر الميلادي .وأتى الإسلام إلى بلاد هوسا في القرن الرابع عشرة الميلادي.[22]

وتطورت التجارة في المدينة وخاصة بعد الإستعمار حيث اتصلت المدينة بأمم أخرى من الأوروبيين والإنجليزيين الذين استوطنوا وطبّقوا عليها قوانين الإستعمار,فبدأ ظهور مصانع المنسوجات والمأكولات والمشروبات. وتقدّمت المدينة إقتصادياً بدور هذه المصانع .

وأدّى هذا التطوّر إلى إنشاء مصانع في بَمْفَيْ(Bomfai) و شَرَطَا(Sharada) وجدّب الكنويين إلى أن ينشؤوا مصانع على غرار الغربيين وعلى نمط المتطلبات الإقتصادية الراهنة.

وقد ساهم كل هذه الأمور في وجود أسواق أخرى كثيرة كسوق كَوارِي(Kwari)وسوق سابُونْغَرِي(Sabon-gari) وسوق

---

[22] أنظر هذه الكتب:

أ- الشيخ عثمان بن فودي: كتاب نور الألباب,

ب- وكتاب بيان البدع الشيطانية.

ت- الشيخ عبد الله ابن فودي : إنفاق الميسور.

شاهوثي(Shahuchi) وسِنْغا(Singer) وغيرها كثير. وظهور البنوك والمؤسسات المالية والبرصات الإقتصادية .وساهم أيضا في افتتاح فرص الأعمال للكنويين.وإنماء المدينة إقتصادياً.

الحياة الثقافية في مدينة كنو:

كان لهؤلاء السكان أثر ملموس في حياتهم الثقافية. وأول ثقافة وصلت إليهم عموما هي الثقافة الإسلامية وذلك حين شهدت المنطقة بنهاية القرن الخامس عشرة قدوم أجلة العلماء المسلمين من المغرب العربي والسودان الغربي وقيامهم بالتدريس ونشر الوعي والثقافة الإسلامية والعربية بين أهلها .منها الشيخ أحمد بن عمر بن عقيب عام 1478م والشيخ عبد الكريم المغيلي في نهاية القرن فطلب الملك رمفا أن يضع له كتابا الذي يكون له مرشدا للإدارة وسياسة الدولة. فألف له كتابا وسماه الجملة المختصرة.وكان دين الإسلام هو الدين الرسمي في عهد الملك محمد رمفا الذي أبدى اهتماما بالغا في نشره متعاونا في ذلك مع العلماء,فاستبدل العادات والممارسات الوثنية القديمة السائدة بين الناس بالعادات الإسلامية, وأدى ذلك إلى إيجاد وتأسيس كثير من المعاهد العلمية.

والمعاهد جمع معهد وهو عبارة عن حجرة جلوس الشيخ وقد تكون صغيرة أم كبيرة حسب إمكانية الشيخ وتكون مفروشة بحصير أو فراش وقد لا يكون بفراش إلاّ في مجلس الشيخ وحده خصوصا إذا كان كبير قضاة المدينة أو وزيرا فهي حجرة جلوس الشيخ مع ضيوفه وهو أيضا في نفس الوقت معهد دروسه.

وليس هناك شهادة إلاّ إجازة تؤهل للشيخ ليدرس فيها و يتصدر للتدريس. **وفاته:**

توفي الشيخ آدم بن عبد الرحمن السيوطي في بيته بحارة مدابو مدينة كنو في يوم الأربعاء عام 1971م وعمره ست وستين

سنة.ودفن في المقبرة التي تقع قريبا مؤقتة الحجيج والتي دفن فيها أسلافه واشتهرت باسم مقبرة المدابويين.[23]

آثاره:

خلف الشيخ آدم إنتاجات كثيرة في مختلف المجالات العلمية شعرا ونثرا. وكان له ما يبلغ خمسين كتابا ما بين مخطوط ومطبوع, وقد ضاع بعضها بعد تقسيم تركته بين ورثته وصارت بعضها في يد اللآخرين عند أصدقائه وتلامذته, ولم يقدر الباحث الحصول عليها كلها. ومن هذه الكتب ما يلي:

(1) كتاب الطهارة

(2) كتاب الآذان والإقامة

(3) كتاب الطهارة من الوضوء والتيمم والغسل والاستنجاء والاستجمار والاستبراء

(4) كتاب تبشير بالسعادة برؤية سيد الرسالة

(5) كتاب فتح العلم المفضل في بيان أحوال الخنثى المشكل

(6) كتاب الطلاق

(7) كتاب الأطعمة و الأشربة

(8) كتاب الحيض والنفاس

(9) نظم حروف حسبنا الله ونعم الوكيل

(10) نظم جيلاني ثمرة فؤادي

(11) نيل السلامة والمكاثر باجتناب العصيان والكبائر

(12) نيل الفضائل والرفد في بيان ألفاظ مقدمة محمد ابن رشد

[23] يعقوب أحمد دوكاوا(مكانة اللغة العربية في ولاية كنو) ص: 113

(13) نيل المراد ونور الفؤاد في الصلاة على خير العباد

(14) نيل المعاونات لمعرفة أموال المعادات

(15) نفحات القائل في أجوبة السائل في مسائل الصلاة

(16) نفحات المدابوية بتحقيق ياقوتة الفريدة

(17) كتاب الصلوات وسراج العقول

(18) فتح رب الأرباب في جمع أخبار النبي وحكم غيره من أهل الحكمة الأخيار

(19) فتوحات الرباني في تعليم قسمة مال الفاني

(20) فتاوي المدابوية مصباح المسلمين في فتاوي علماء المدابويين

(21) فتح القادر في شرح منظومة ابن عاشر

(22) ورقات أقسام الميراث

(23) ورقات صلاة العيدين

(24) ورقات في أحكام الميت

(25) حجج العلماء المدابويين بما ثبت في كتب الأشياخ المتفقهين

(26) حجة السادلين وإجابة السائلين

(27) عصبة الرحمانية على شرح عقيدة السنة

(28) بركات السيوطية في شرح أرجوزة القرطبية

(29) مواهب اللطيف بمعرفة أحكام الطهور والوضوء والتيمم والمياه

(30) تعليم الحجاج في أفعال العمرة والحج

(31) منح الرحمن الرباني في معرفة قسم التركة الفاني

(32) إفادة السالك وإعانة الناسك على مذهب الإمام مالك

(33) قصيدة فتح الرخمن في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم

(34) قصيدة فيض الإلهي التي جعلها الشيخ في أبواب ثلاثة, باب اقتخر بنفسه وشهرته, وباب ذكر عجز الذين سبوه أن يجيبوا عن السؤال في كتاب المسكت, وباب ثالث في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم

(35) قصيدة الهمزية في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم

وذكر مالم حسن حساس أحد طلابه أن مؤلفات الشيخ أكثر من هذا العدد إلا أنهم لم يحصلوا عليها كلها [24].

الفصل الثالث:المديح عند الشيخ آدم بن عبد الرحمن السيوطي (ثندو)

المديح فن من فنون الشعر.ومفهوم الفن لغة : له معنيين الأول هو التعنية والإطراد الشّديد. يقال: فَنَنْتُه فَنّاً، إذا أطردتَه وعنّيْتَه. تقول: فننت الإبل، أي طردتها. قال الأعشى:

والبيض قد عنست وطال جراؤها

ونشأن في فـن وفي أذواد [25].

[24] مقابلة مع الشيخ حسن حساس أحد تلامذة الشيخ آدم.

[25] الصحاح للجوهري ج: 7ص: 27.

نشأ فن المديح النبوي منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن لحق بالرفيق الأعلى لما ملئ قلوب المسلمين من الشوق الدائم والمحبة الخالصة, فأبرز الشعراء المسلمين تلك الشوق والمحبة والوداد, فابدؤوا نوعا جديدا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم, وآله وأصحابه الكرام, حيث يسجّلون فيها لمحات حياته المثالية, وشمائله وكرمه العظيم, ومعجزاته الباهرة, وسيرته الشريفة, لتكون أسوة ومسلكا وزادا مبلّغا للمسلمين إلى حضرة المولى سبحانه وتعالى. تبعا لأمر الله في القرآن الكريم { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر...}[26] وقوله سبحانه وتعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله...}[27]

والمديح من إحدى الطرق لترويح آلامهم النفسية, التي سببها فقدان الرسول صلى الله عليه وسلم ويرثونه, فينشدون هذه الأناشيد, ويرددونها في المناسبات الدينية والحفلات ليغرسوا جذور محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في قلوب الناس وفي أجيالهم الناشئة حتى تصبح بمثابة الدم والجسم, وإتباعا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم, وحب أهل بيته, وقراءة القرآن}[28].

وإذا تتبعت تاريخ المديح النبوي ـ وإن لم يعرف بهذا المصطلح في هذه الفترة ـ نجده بدأ في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما مدحه الشعراء، ومجّدوا دعوته وأخلاقه، ويأتي في مقدمة هؤلاء الشعراء شاعره حسان بن ثابت، وبعض الشعراء الآخرين الذين ذكرهم التاريخ بقصيدة واحدة مثل الأعشى وكعب ابن زهير. وعند ما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى رثاه الشعراء وبكوه،

---

[26] سورة الأحزاب: الآية 20.

[27] سورة آل عمران: الآية 30.

[28] السيد أحمد الهامشي بك. مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية, ص:8-9.

ولكنهم لم يخرجوا عن الخط العام للمدح والرثاء في الشعر العربي؛ لأنه مدح في حياته ورثي بعد وفاته مباشرة.

وقد عدت المدائح النبوية غرضًا شعريًا قائمًا بذاته، لأن هناك من الشعراء من وقفوا أنفسهم عليها ولما يتجاوزوها إلى أغراض الشعر الأخرى. وكان من أشهر أولئك النفر من الشعراء في المشرق أبو زكريا الصرصري (ت 656هـ)، الذي يقول في الرسول صلى الله عليه وسلم:

ياخاتم الرسْل الكرام وفاتح الـ
خيرات يامتواضعًا شَمَّاخا
ياخير من شدَّ الرَّحال لقصده
حادي المطيِّ وفي هواه أناخا

وبلغت تلك الجهود ذروتها في أقل وقت ممكن, وتدريجيا تغلغلت القصائد المادحة في قلوب المسلمين, ووصلت أعلى مجدها, وأدى بعض الشعراء إلى تدوين الدواوين في هذا المجال, وسميت آنذاك بالمدائح النبوية.

وتماشى الأمر مع العصور المباركة, وتنموا تلك المدائح نموا هائلا إلى أن وصلت وشاعت إلى بلدان الأفارقة, واعتن المسلمون بها حق عناية, وجذبت قلوبهم بما فيها من المعاني الرائعة والأساليب الجميلة, والكلمات اللينة والرخوية, ووجدت المنظومات ترحيبا تاما, وحاول العلماء عن يقتدوا بالقدامى ويتّبعوا آثارهم في قرض أشعارهم المديحية, ويرجع الفضل الكلي إلى شيوخ الطرق الصوفية الذين ربّوا قلوب المسلمين بالحكم والوعظ والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة والحميدة والمثل الطيب, والتقشف والعبادة الخالصة, والورع وإلى كل ما يحبه الله ويرضاه, فجزاهم الله على هذا الجهد الغالي خيرا.

والمدح في اللغة. من مدحه مدحا, أثنيت عليه ثناءا حسنا, بما فيه من الصفات الجميلة والأخلاق الفاضلة.[29] وهو نقيض الهجاء, و

[29] ابن منظور, لسان العرب, المجلد الثاني, فصل ميم حرف الحاء ص:589-590

في المعجم الوسيط" (والمَدِيح ، والمِدْحَة) ، بالكسر ، (والأُمْدوحَة) ، بالضّمّ : (ما يُمدَح به) من الشِّعْر . و الجمع مدائح".[30] (المَدْح نقيض الهجاءِ وهو حُسْنُ الثناءِ يقال مَدَحْتُه مِدْحَةً واحدة ومَدَحَه يَمْدَحُه مَدْحاً ومِدْحَةً هذا قول بعضهم والصحيح أن المَدْحَ المصدر والمِدْحَة الاسم والجمع مِدَحٌ وهو المَدِيحُ والجمع المَدائحُ والأماديح الأخيرة على غير قياس ونظيره حَديثٌ وأحاديثُ)[31]

والمديح باعتباره جزء لا يتجزأ عن المدح يختص بالرسول صلى الله عليه وسلم و بعترته الطاهرين بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. وجملة القول إن بين المدح والمديح عموم وخصوص, كما أن هناك فارقا آخر بينهما وهو أن شعراء المدح كانوا يتكسبون بأشعارهم, بينما كان شعراء المديح يتوخّون رضا الله بأشعارهم, ويبتغون عند الله الزلفى. ويختلف الفنان – المدح و المديح- أيضا في أن الأول معروف لدى الشعراء العرب وغيرهم منذ الجاهلية بينما كان الثاني من وليد عصر صدر الإسلام. وكثيرا ما تجد أصحابه يختتمون قصائدهم بالتوسلات والاستغاثات بالنبي صلى الله عليه وسلم, سيد الأولين والآخرين, وبالصحابة الكرام, والأولياء النجباء رضوان الله عليهم, وخاصة الشيخ أحمد التيجاني, والشيخ عبد القادر الجيلاني.

تطور فن المديح عبر العصور الأدبية:

المدح في العصر الجاهلي

كان المدح في العصر الجاهلي, ذا مكانة ومداره المعنوي حول الصفات الكرم والشجاعة ومساعدة المحتاجوالعفو عند المقدرة وحماية الجار, والعقل وغير ذلك.[32]

---

[30] المعجم الوسيط الجزء الثاني: ص: 858

[31] ابن منظور, لسان العرب, المجلد الثاني, المرجع السابق.

[32] محمد عبد المنعم الخفاجي, الحياة الأدبية في العصر الجاهلي, ص: 309 الطبعة الأولى عام 1368م

نشأ في الجاهلية بعيدا عن التكسب والتزلف, يرمي إلى إظهار الحب والشكر والإعجاب.[33] واتخذ بعض الشعراء المدح وسيلة إلى التكسب, كالنابغة والأعشى.

وتمتاز المدائح في هذا العصر ببساطتها وصدقها وبعدها عن الغلو والمبالغة, وهي غالبا تظهر بالمقدمة التي تشير إلى الوصف والوقوف على الأطلال ومخاطبة الديار ثم الإنتقال مباشرة إلى الممدوح كما في رائية زهير التي مدح بها هرما حيث قال:

لمن الديار بقنة الحجر

أقوين من حجج ومن شهر

لعب الزمان بها وغيّرها

بعدي سوا في المور والقطر

قفراً بمندفع النحائت من

ضفوى أولات الضال والسدر

دع ذا وعد القول في هرم

خير البداة وسيد الحضر[34]

أما أسلوب المدح في هذا العصر, فقد جمع بين القوة والمتانة والرصانة, يبيّن ذلك شعر الأعشى في هوذة بن علي, ملك اليمامة:

من يلق هوذة يسجد غير متّئب

إذا تعصب فوق التاج أو وضعا

أغر أبلج يستسقى الغمام به

[33] حنا الفاخوري, تاريخ الأدب العربي, المطبعة البولسية الطبعة الثامنة بيروت, ص: 421

[34] يوسف ابن سليمان بن عيسى الأندلسي, أشعار الشعراء الستة الجاهليين, الطبعة الأولى 1402هـ 1982م, ص: 323

لـو صارع الناس عـن أحلامهم صرعا[35].

المدح في عصر صدر الإسلام

يعتبر هذا العصر من أخصب عصور الدنيا وأزهرها وأنضرها, لأن ينابيع العلم والأدب والحكمة, فجرت للناس, بظهور أفصح العرب والعجم, ورحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم, بقوله تعالى: { وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين}[36].

ولهذا نال المدح منقبة عظيمة وخلع عن ثوبه الجاهلي لابسا ثوب الحق, وجعل بعض الصحابة رضوان الله عليهم بعد الهجرة يمدحون الرسول صلى الله عليه وسلم, كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة. إلاّ أنّ جلّ ما يمتدح به خاص بعمل الرسالة,[37] ولم يجد المدح في هذا العصر مجالا للتكسب به لأنّه يهدف فقط إلى الإشادة بالإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن خصائص المدح في هذا العصر استعمال بعض ألفاظ القرآن وأساليبه وتشبيهاته وتوليد المعاني من العقائد الإسلامية, كقول حسان بن ثابت:

عزيـز عليه أن يحيدوا عن الهدى

حريص على أن يستقيموا ويهتدو.

فحسان بن ثابت في هذا البيت أخذ معنى الآية القرآنية التي يقول فيها الله تعالى:{ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين

---

[35] د/ عبد العزيز بن محمد الفيصل: الأدب العربي وتاريخه, الطبعة الأولى بعد التعديل 1405هـ مطبعة جامة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص: 139.

[36] سورة الأنبياء: الآية: 107

[37] أحمد الإسكندري وشركاؤه. المفصل في تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية وزارة المعرف العمومية, ج: 1 ص: 127

رؤوف رحيم}[38].[39] وأبيات أخرى تحمل معاني العقائد الإسلامية في قوله:

أغر عليه بالنبوة خاتم

من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه

إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

إلى أن قال:

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا

يلوح كما لاح الصقيل المنهد

وأنذرنا نارا وبشّر جنّة

وعلمنا الإسلام فالله نحمد[40]

أما أسلوبه فأسلوب جمع بين رصانة الجاهلية وعذوبة الإسلام كما يظهر ذلك في قصيدة كعب بن زهير الرائية في مدح الأنصار التي يقول فيها:

من سره كرم الحياة فلا يزل

في مقنب من صالحي الأنصار

تزن الجبال رزانة أح لامهم

وأكفّهم خلفٌ من الأمطار

---

[38] سورة التوبة, الآية:127

[39] د/ عبد العزيز محمد الفيصل, المرجع السابق ص:196

[40] د/ عبد العزيز محمد الفيصل, المرجع السابق ص: 218

المكـرهين السمهـري بـأزرع

كصواقـل الهنـدي غيـر قصـار

إلـى أن قال:

والبـاذليـن نفوسهـم لنبيّهـم

يـوم الهيـاج وقبـة الجبــار[41].

المدح في العصر الأموي

تطور الأدب في عصر الأموي, حيث إهتم الخلفاء والأمراء بتأييد الشعراء وتشجيعهم, وبهذا إنهمك الشعراء في مدح الخلفاء والأمراء, وكانوا يدفعون إلى هؤلاء الشعراء المنح والعطايا ليكيلوا لهم المدح والثناء حتى أدى ذلك إلى تسابق الشعراء إلى اختراع المعاني التي تعجب أولياء الأمرفكثر التكسب بالمدح.

ويختلف الأسلوب في هذا العصر عما كان عليه في العصرين الجاهلي والإسلامي من وصف الممدوح بصفات من الكرم والوفاء, كما أنه لا يخلوا من المعاني الإسلامية, كما نجد ذلك في مدح عبد الله بن قيس لمصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهاب من اللـــــ

ه تجلّت عن وجهه الظلمــاء

ملكه ملك قوة ليــيس فيه

جبروت ولا به كبريـــاء

يتقي الله في الأمور وقد أفلـ

[41] د/ عبد العزيز محمد الفيصل, المرجع السابق ص: 232

ـح من كـان همّه الإتقـاء[42]

المدح في العصر العباسي:

استمر المدح في عصر العباسي إلى أن أصبح وسيلة من وسائل تأييد الخلفاء وتدعيم الحكم. فوجد تطورا جديدا, يقول الدكتور شوقي ضيف " إذا كان مداره المعنوي قديما حول صفتي الكرم والشجاعة بصفة أساسية مع كل ما يمكن أن يبتكر الشاعر من تنويعات في إيراد هاتين الصفتين, فإنه في العصر العباسي لم يلتزم دائما بالدوران حول هذا المدار, إذ لم يكن من المعقول أن يمدح كتاب الوزراء وكتاب الدواويين مثلا بالشجاعة والبطولة, وإن أمكن مدحه بالجد والكرم, بل أن يمدح بالفطنة والفصاحة, وبعد النظر وبراعة القول وما أشبه ذلك مما يتعلق بطبيعة عمله"[43]. ولهذا نجد أن المدح في العصر العباسي تطور إلى مدح الخلفاء والوزراء بصفات تتعلق بطبيعة العمل كما سبق ذكره, ومن أمثلة ذلك قول البحتري في مدح محمد بن عبد الملك الزيات في قصيدته, ومطلعها:

بعض هذا العتاب والتنفيذ

ليس ذم الوفاء بالمحمود

وفي هذه القصيدة يلتفت البحتري إلى المعاني التي تتفق مع طبيعة عمل ممدوحه الذي بدأ حياته كاتبا بالديوان, حتى أصبح وزيراً للمعتصم.

وفيه مخاطبا له:

لتفننت في الكـتابـة حــتى

عطـل الناس فـن عبد الحميـد

[42] سعد حسين وشريكاه, الأدب والنصوص والبلاغة للمرحلة الثالثة ج 1 الطبعة 2 جمعية الدعوة الإسلامية العالمية, ص: 337.

[43] د/ شوقي ضيف, تاريخ الأدب العباسي/ العصر العباسي الأول, دار المعارف مصر. ص: 357

في نظام من البلاغة ما شـــ

ك امـرؤ أنـه نظـام فـريد

وبديع كأنه الزهر الضـــا

حـك في رونق الربيـع الجديـد

ومن الواضح أن الشعراء في هذا العصر أدخلوا في مجال المدح معان جديدة لم تكن مألوفة في العصور السابقة.[44]

المدح في الأدب العربي النيجيري في القرن التاسع عشرة الميلادي:

أما في العصر الحديث فإن الأغراض الشعرية أصابها نوع من التجديد, مما أدى إلى تحول المدح من شعور بالرغبة, وقصد المبالغة والمغالات في الثناء إلى مدح للمواقف الوطنية, والمأثر القومية وإكرام أصحاب البطولات الرائعة ممن صاروا مصدر تقدم وازدهار لشعوبهم وغير ذلك.[45]

وفي القرن التاسع عشر الميلادي لم يكن للمدح مكانة كبيرة إلا المديح النبوي وذلك لاشتغال العلماء بتعليم الكتب الدينية, وعدم التكسب بالشعر والإستجداء بالمدح في هذه الفترة. ولم يكن من المعقول أن يتكسّب العلماء بالشعر نظرا إلى منزلتهم العلمية, ولعل هذا هو الذي جعل فن المديح قليلا في تلك الفترة.[46]

وأما المديح النبوي_ للنبي صلى الله عليه وسلم_ وما يشبه ذلك من العلماء والشيوخ فهو الناشئ في هذا العصر.

---

[44] د/ شوقي ضيف المرجع السابق, ص: 165

[45] رمضان سعد القماطي وشركاؤه, الأدب والنصوص والبلاغة والنقد, للمرحلة الثالثة, ج 2 ط: 2 جمعية الدعوة الإسلامية العالمية, مكتب الإعلام والبحوث والنشر, ص: 186

[46] د/ شيخو أحمد غلادنثي, حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا, ص: 127-128

ومداره المعنوي حول صفات الكرم والجود والشجاعة. ويصف المادح ممجوحه بالعلم وخدمته والتدريس والتأليف, كما يصفه بالتقوى والتمسك بالدين وغير ذلك من الصفات الحميدة.[47]

ولم يختلف أسلوب المدح عما كان عليه في العصر الجاهلي, فهو أسلوب تقليدي في الشكل والموضوع, لأنهم يعتمدون على الشعر الجاهلي, وكتب أصول الأدب عند العرب.

يفتتحون القصائد بالمقدمة التي تشير إلى الوقوف على الأطلال ومخاطبة الديار, وفي الختام نلاحظ أن كثيرا منهم يختم القصيدة بالحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وءاله وصحبه.

ومن خصائص المدح في هذه الفترة استعمال الألفاظ الغريبة حتى يضطر القارئ إلى القاموس لمعرفة معناها.

والجيمية المشهورة التي مدح بها الشيخ عبد الله بن فودي شيخه جبريل وأخاه الشيخ عثمان بن فودي, وتبلغ حوالي أربع وستين بيتا مليئة بهذه الألفاظ الغريبة ويضطر القارئ إلى تفسير كثير منها. وتصور لنا هذه الخصائص, ومطلغها:

عج نحو أضواج الأحبة من مج

واشرب من الأنشاج ماء الزعبج[48]

والسبب في استعمال هذه الألفاظ الغريبة يرجع إلى أمرين كما ذكر الدكتور شيخو غلادنثِ: " الأول محاولة الشاعر إبراز ذخيرته اللغوية الغريبة وتضلعه في اللغة العربية. والثاني محاولة جعل هذه الكلمات الغريبة في متناول طلبة العلم, وذلك لأن طلبة العلم كانوا يقرءون تلك القصائد على ناظمها أو من فهمها من العلماء, ويدرسون بذلك ألفاظها وغرائبها وسيلة لا غاية.[49]

[47] د/ شيخو أحمد غلادنثي, المرجع السابق, ص: 127

[48] د/ شيخو أحمد سعيد غلادنثِ, المرجع السابق, ص: 133.

[49] المرجع السابق, ص: 137.

المدح في الأدب العربي النيجيري في القرن العشرين الميلادي:

ضعف فن المديح في بداية هذا القرن, للصراع الذي لقي اللغة العربية, وهجوم المستعمرين عليها, وجعلوا محلها اللغة الإنجليزية. لولا أن يحفظها ويحميها من الإندراس.

ولهذا قام العلماء بحفظ تراثهم القديم, وبقي المدح في حالته القديمة, وما حله شيء من التجديد.

ولما كثُر المواصلات بين نيجيريا والبلاد العربية إرتقى المدح إلى درجة سامية, وحلّه شيئ من التجديد نتيجة وجود كتب عربية أدبية حديثة في المكتبات العامة والخاصة, مما أدى إلى ابتعاد بعض الأدباء عن المنهج القديم, ولا يلجأ الشاعر إلى ذكر المقدمة بوصف الناقة أو البكاء أو الوقوف على الأطلال, وكان الشعر في أوائل فترة الإستعمار يصف ممدوحه بصفات يستحسنها المجتمع من الكرم والاهتمام بأمر الشعب, وتعمير البلاد.

ونرى ذلك في ميمية العالم يحيى بن عبد القادر في مدح أمير المؤمنين الحسن بن معاذ. ومطلعها:

جدير بالخلافة مستحق

بها أهل ومن مثل الهمام[50]

ولقد ساعد في تطور فن المديح في منتصف هذا القرن دور الطرق الصوفية. فإنهم كانوا يقرضون المدائح النبوية في المناسبات الدينية, كالمولد النبوي,[51] والزيارات التي قام بها مشائخ الطريقة التيجانية إلى نيجيريا في منتصف هذا القرن ساعد بكثير في تطور فن المديح.

[50] د/ شيخو أحمد سعيد غلادنثي, المرجع السابق, ص: 180-181.

[51] المرجع السابق, ص: 183.

ومن هذه الزيارات مثلا, زيارة صاحب الفيضة التيجانية الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي إلى مدينة كنو.[52]واستقبله شيوخهم ومريدهم وقرضوا قصائد عديدة لهذه المناسبة في مدح الشيخ وترحيبه, وقلما تجد شيخا أو مريدا له باع في الشعر ولم ينظم قصيدة في مدحه, إما باللغة العربية أو باللغة المحلية.

ويقول في ذلك الشاعر:

وامتدحتـه الشعراء في كنـو

وكان فيهم لسـن وفطـن[53]

ومما ساعد غلى ذلك أن الشيخ إبراهيم كان مولعا بشعر المديح له دواوينه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم, المسمات بترهة الأسماء في مدح الأمين ومعاني المختار.

وشهد له بذلك أحد أتباعه الصديق بن محمد الربع مادح له:

ومـدح النبي المصطفـى خير شغلـه

ولا حركـة إلا إشارة لمـدحـه[54]

وحرض الشيخ أتباعه في هذه على حبّ الرسول صلى الله عليه وسلم, ومدحه, وجدد لهم الطريقة التيجانية, وحثهم على إحياء ليلة

[52] كانت هذه الزيارة للشيخ إبراهيم إنياس لأول مرة إلى مدينة كنو يوم السبت 6 – رجب 1364هـ الموافق 1972م.

[53] رسالة في تاريخ مجيئ الشيخ إبراهيم الكولخي إلى مدينة كنو, للشيخ محمد الثاني الكافنغي, ص: 45.

[54] الشيخ الصديق بن محمد الرابع, أنس الصادقين في مدح غوث العالمين, ص: 21 مخطوط.

مولد النبوي كل سنة, بقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم وإنشاد المدائح النبوية, وأدّى ذلك إلى قرض قصائد مديحية لهذه المناسبة.

وممن أدلوا بدلائهم في تطور فن المدح في هذه الفترة, نضرب مثلا ببعض الشيوخ الأجلاء .

الشيخ محمد الناصر الكبري[55], وله قصائد في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم منها التي يقول في مطلعها:

يا رسول الله خذ بيدي * وتداركني فأنت أبي

ومقطعها:

ما شدا المسكين في كبر * بكنو يدعوك في تعب

يارسول الله خذ بيدي * وتداركني فأنت أبي

ومن الذين ساهموا أيضا في هذا الميدان, الشيخ محمد الثاني الكافنغي[56] وقصيدته التي مدح بها الشيخ إبراهيم الكولخي, ومطلعها:

أيا قطب قرن رابع عشرة

أبا إسحاق ساقنا من حميرة [57]

ومنهم الشيخ المبجّل أحمد التجابي بن عثمان الكنوي, من كبار علماء كنو, وقصيدته مرواق العشاق في مدح السيد أبي إسحاق.

ومنهم قصيدة الرائية للوزير جنيد يمدح بها الشيخ عثمان بن فودي, ومطلعها:

---

[55] الشيخ محمد الناصر الكبري من كبار علماء عصره, ومن أصدقاء الشيخ آدم ثندو مدابو.

[56] هو الشيخ محمد الثاني من العلماء البارزين في كنو ومن شيوخ الطريقة التيجانية.

[57] الشيخ محمد الثاني الكافنغي,رسالة في تاريخ مجيئ الشيخ إبراهيم الكولخي إلى مدينة كنو أول مرة. ص: 40.

أرقت لبرق مومض في دجى السحر

كما افتر عن در اللّمي باسم الثغر

وفيها يقول:

وأمـدحه كيما أنـال بمـدحه

لطائف من ربّي الكريم مع الأجر

واذكـر شيئا من مناقبه التي

تزيد على الإحصاء والعد والحصــر

ومن هؤلاء المشايخ الذين تطور المدح في هذا العصر بمساهمتهم هو الأستاذ القاضي عمر إبراهيم وقصيدته الدالية التي مدح بها الشيخ محمد عبده, ويقول فيها:

أيـا محـمـد عبـده * فــأنت القـائـد

فـأنت رمــح الله أو * فيصلـه المــهنـد

مـرشـد القرآن والـ * ـسنّة حين تسـنـد

ومنظومة الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عمر الوالي في مدح الشيخ يهوذا بن سعيد. ويقول فيها:

فـاسمـع أخـي نصيحة من نـاصـح

إن كنت تبـغي الخير لذ بـيهوذا

يسقيك بحرا من بحور علومـه

فقهـا حديـثا حبــذا بيهــوذا

نـحوا وتفسيـرا كـذاك عقيـدا

بـحر عميـق في الـكلام يهـوذا

ومن العوامل التي ساعدت في رقى فن المديح في هذا القرن, إنشاء الجامعات والكليات والمعاهد التعليمية والمدارس الإسلامية في نيجيريا مما أدى إلى بعث روح الأدب العربي, ونال المديح بذلك حظا وافرا, وأغلب الطلاب المتخرجين في تلك المراحل التعليمية, يقيمون حفلات كبيرة ويجتمع فيها الطلاب والمدرسون والمديرون وغيرهم, ثم يُقدم مقالات إما شعراً أو نثراً, وأغلبها شكر وثناء وتقدير لما بُذِل من المجهودات.

ثم إنشاء الجمعيات والمنظمات في أواخر هذا العصر التي لها قوية بالطرق الصوفية. لذكرى المولد النبوي الشريف في شهر ربيع الأول, وتطور إلى مولد الشيخ عبد القادر الجيلاني_ صاحب الطريقة القادرية_ فشهر الربيع الثاني لكل سنة, ويطلقون عليه اسم المكب. ومولد الشيخ أحمد التيجاني في شهر صفر. ومولد الشيخ إبراهيم الكولخي في شهر رجب. ومولد الناصرية للشيخ محمد الناصر الكبري في شهر..... وساهمت هذه المناسبات بكثير في تطوّر فن المديح.

عرض مدائح الشيخ آدم ثندو والتعليق عليها :

نظم الشيخ آدم بن عبد الرحمن قصائد في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم. ليسلك مسلك من سبقه من العلماء الأجلاء, أمثال الشيخ عثمان ابن فودي وأخوه الشيخ عبد الله ابن فودي وغيرهما. وأقرانه في ذلك العصر مثل الشيخ محمد الناصر كبر.

القصيدة الأولى: فتح الرحمن:

(1) الحمد لله الذي يعطي الفضل * والجود والإحسان والنعمان

(2) يا قادم الجود كذا الإحسان * صل على الهادي بني عدنان

(3) وبآله أصحابه متتابـــع * في مدة الأيام والأزمـان

(4) يا سيد الثقلين أنت وسيلنا * في نيل ما نرجوه للرحمـن

(5) اشفع لنا يا خير من فوق الثرى * في المعضلات[58] الدهر ولأخران

(6) يا خير مخلوق ويا خير الورى * جئناك تشفيعًا فخذ بيـدان

(7) يا سيد الكونين أنت ملاذنا * في هذه الدنيا ويوم الديـن

(8) يا أقرب الرسل إلى ربّ الورى * من جا إليك موصلا بأمان

(9) يا من تشكى الظبي في أحبالها * فتطلقت فورا بغير تــوان

(10)رجعت إليك بعيد سقي فصيلها * عفيت عن الصيد كذا ذبحان

(11)وثبت بوثب ناطقات لسانها * أنت رسول الله ذو الإحسان

(12)يا رب يا ذا العرش يا رب الورى* صل وسلم للنبي عدنــان

(13)يا من دعى أشجار جاءت سرعة * لقضاء ما يهوى بغير تـوان

(14)يا من تكلم ضبتا برسـالة * في مجمع الأصحاب ذو الرضوان

(15)يا من أدر لبن شاة لمعبد * بعد مضـي مدا من الأزمـان

[58] المعضلات: الشدائد

(16) يا من تكلم ذبية برسالة * وشكي البـعير إرادة نحـران

(17) يا من به الله يغيث عباده * لولاه ماتوا كلهم عطشــان

(18) يا من تقدم في السماوات العلى * بين النبي والمرسل عدنــان

(19) لولاه ما خلق الأنام بكلهم * والعرش والكرسي والحيـوان

(20) من جا إليك فقد توسل بالمنا * هيهات أن يلقى بذي أحزان

(21) أنت الذي ياوي إليك أولو المنا * يا خير آباء كذا ولــدان

(22) من جا إليك فلا يخيب مراده * حقا يلاقي ربه رضــوان

(23) أنت الذي يرضى الإله لمن أتى * متوسلا أبوابك الإحسـان

(24) جئناك يا خير الذي يعطي به * من كل خير في دنا أخـران

(25) يا حير آت بعده أو من مضى * هيهات لم يوجد مثال ثـان

(26) يا خير من نرجو الإله يفوز نا * في اليوم والأخرى فيا عدنان

(27) يا من إذا ضاق الورى في ضنكهم * نادوا به أسماؤه فيعــان

(28) يا من يجيء كل بحاجــة * فينال ما يهواه غير تـوان

(29) جئنا إليك مسولا يا سيدي * خذ يا نبي الله بالأيدان

(30) بخديجة الكبرى كذا بنسلها * زوج علي وعندها حسنان

(31) يا ثاني الغار خليفة بعده * يا عمر عثمان يا رضوان

(32) جئناكم وسلا إلى خير الورى * وصل لنا بالله للعدنان

(33) يامن تصلى كل من فوق الثرى * يا طالب التخفيف من ربان

(34) يامن توسل آدم من أكله * شجرا فتاب وتيب بالغفران

(35) يا رب يا رحمن يا رب العلى * بالعرش والكرسي أجب بدعان

(36) واعط لنا سعدا بيوم وفاتنا * وأكثر لنا الأرزاق بالتيجان

(37) وسع لنا قبرا بيوم نزوله * واجعله روضا بالنعيم دنان

(38) وانطق بنا عند السؤال جوابنا * قولا صحيحا أنت ذا الإحسان

(39) بمحمد وصحابه وبفاطمة * كن لي مجيب دعاءنا رحمان

(40) يا باسط الجود عظيم بالعطا * ابسط لنا الأرزاق بالتيجان

(41) وأعط لنا نورا قيام وبرزخ * وأملئه نورا بالنعيم الجنان

(42)وارفع بروحي بالخروج إلى السما* واقبله بالرضوان يا ربـاني

(43)واحشر بنا زمرا بأمة أحمد * متظللين العرش بالتيجــان

(44)وبفاطمه بنت النبي فإنها * ز وج علي وعندها سبطـان

(45)يا رب إني توسل كلهم * يأتوا بنـا حقـا إلى عدنـان

(46)وبأحمد خير الولي فإنه * عند الإله وجدّه رضـــوان

(47)واشرب لنا حوضا بجاه محمد * جاوز لنا يوم الصراط ربـان

(48)وأعط لنا تامين يوم نشورنا * حتى تكون موصلا بجنــان

(49)واغفر لنا والوالدين جماعة * خير الأنام محمد الإحســان

(50)واعط لنا كتبا يمينا سيدي * وأكفى لنا الأهوال بالتيجـان

(51)ثقل لنا توزين يوم حسابنا * ندعوك كل خير يا منــان

(52)واغفر لمن صلى لنافي موتنا * واقبل شفاعتهم بذي رضوان

(53)والغاسلين لنا ولحـامل * والحافرين لقبرنا رحمـــان

(54)والدافعين ترابنا أو مدع * وراشحين وحامل ادفـــان

(55)واطرد لنا شيطان عند وفاتنا * جبريل ياتينا وبالريحـــان

(56)ومحمد المختار سيد خلقه * وصحابه رضوان والتيجـان

(57)والحق بنا خير الأنام محمدا * متقبلا فينا بلا سخطـــان

(58)بزمزم والوسعى مقام خليلنا * بموسى وعيسى رب بالعدنان

(59)وأنزل بالملائك رحمــة * متشيعين لـنا إلى قـبران

(60)قنا الفضيحة في اللقائك سيدي * وعذاب يوم الخزي يا منـان

(61)سافر بنا حجا زيارة أحمد * في روضه وصحابه رضـوان

(62)فضّل لنا في هذه أرزاقنا * يا مولي النعمات والإحسـان

(63)واكشف بنا غما وحزنا في الدنا * والخزي يوم اللقاء يا ديـان

(64)واحفظ بنا كيد عدو وحاسد * يا حافظ الأكـوان والقرآن

(65)وأعط لنا علما كثيرا نافعا * يا عالم الأشياء قبل إبـان

(66)وافتح لنا أبواب خيرك بالعطا * من كل وجه يا سميع دعان

(67)واقبل لنا سؤلا بجاه محمـد * إخوانه أصحابه ربـــان

(68)يا حي قبل الحي أنت إلهـنا * طول لنا عمرا بلا نقصـان

(69)يا رب بالكتب السماوي الؤلى * قدر لنا الخيرات بـالقـرآن

(70)وأدم بنا دينا صحيحا وافقا * في السنة المختار والرضـوان

(71)سهل لنا سكرات يوم مماتنا * متنعمين بالرؤية ريحــان

(72)وفق بنا السنة النبي محمـد * متمثلين بها مدى الأزمـان

(73)أرزق لنا توقير كل شيوخنا * أحياء والأموات يا رحمـان

(74)يا شيخنا التيجاني أنت وسيلنا* وصل إلى جد بني عدنــان

(75)وسع لنا عمرا حياة ربنــا* بالجود والإحسان يا منــان

(76)يا منقذ الغرقى ولو بعد الردى* نرفع إليك يدي يا رحمــن

(77)حاشى لجودك أن تقنط عاصيا * أنت الكريم فلا تخيب دعـان

(78) هذا عُبَيْدك قد أتى متذلـلا * في باب رب العالمين ربـان

(79)يعصيك كل اليوم يرجوا رحمة * إن لم تجيب له فلا لك ثـان

(80)يا واحد في الملك أنت إلهنا * فاغفر لنا كل الذنوب ربـان

(81)حاشى لربي أن يرد عبيـده * من كثرة الطغيان والعصيـان

(82)فرج ويسر يا إلهي أمرنـا * أنت الكريم فلا ترد بجــان

(83)يا دافع البليات يا رب الورى * أصرف لنا كل البلى وهـوان

(84)وأحفظ بنا شر الخلائق كلهم * جن وغير هكذا إنســان

(85)وأعط لنا كل الرغائب والمنى * في هذه الدنيا و يوم الـدين

(86)وبمكة خير البلاد المدينة * أعط لنا الخيرات بالعدنــان

(87)ويا حبيب الله خير رسوله * كن لي مجيب سؤالنا رحمـن

(88)يا قالب حالات قلب حالنا* في الخير والإصلاح والإحسان

(89)واكسر لنا كل عدو وحاسد * متذللين لنا بـلا كبــران

(90)واحزنه في الدنيا بسوء صنيعة * وارجع إليه بكيده ربــاني

(91)يلقاه في الدنيا بما يرجو لنا * نلقى بخيرك في الدنا فرحـا

(92)سهل لنا عيشا كريما ناعما * واختم لنا خيرات يوم القـان

(93)وارفع لنا في العليين مكانة * متجاورين بشيخنا التجــان

(94)قنا الضرائب[59] والشدائد في الغد * وبيومنا هذا فأنت أمـــان

(95)واجعل بنا الصف الذي أكرمته * بشفاعة الأولى فيا رحمــن

(96)وادخل بنا جنة قبيل حسابنا * في زمرة الأولى دخول الجنـان

(97)وارفع مكانتنا إلهي ربنـا * في هذه الدنيا ويوم الديــن

[59] الضرائب جمع ضريبة وهي الأموال التي تأخذ سنويا من أيد الناس أو مال يجعله السيد على عبده سنويا ويسمى غلة أو خراج. لسان العرب لابن منظور: ج :1 ص: 547.

(98)بخليفة الصديق بعد نبينـا * وبفارق الحق كذا عثمــان

(99)وكذا علي وزوجه بنت النبي * سبطهما حسنين يا ديــان

(100) وبعشرة المختار أهل حديبيه[60] * أصحاب بدر قاطع كفـران

(101) أعطنا خيرا كثيرا واصلا * من يومنا هذا وفي لقيــان

(102) صلواتنا وسلامنا خير الورى * والآل والأصحاب والإحسان

(103) بصلاتنا نرجوا الإله يثوبنا * في هذه الدنيا ويوم ديــان

(104) واغفر لناظمها عُبَيْدَك آدم * نسل سيوطي عبدك الرحمـن

(105) أزواجه ولوالديه جميعهم * أشياخ والأصـهار والإخـوان

(106) واغفر لكل المسلمين ومسلمة * واختم لنا بالخير يا منــان

(107) أدعوك يا رب وأنت إلهنا * يوم الوفاة لقاؤنـا عدنــان

(108) وصية خير الأنام محمد * كن لي مجيب سؤالنا رحمــن

(109) بحمد الله بدأ نظمنـا * في يومي الأحد وفي صفـران

[60] يعني عشرة المبشرون بالجنة: وهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد ثم عمرو بن نفيل وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم جميعا.

(110) في عام ألف وثلاثة مأة * ست وستين وفي فــرلان[61]

(111) حسابها عشرون تابع مأة * فأقبل لنا ربي بذي الرضـوان

(112) حسابها عشرون تابع مائة * فاقبله ربي بذي الرضوان

وهذه القصيدة التي سماها فتح الرحمن. وعدد أبياتها مائة وعشرون بيتا كما ذكر الشيخ آدم في بيت الأخير من هذه القصيدة, وقد ضاع منها بعض الأبيات, وأن الباحث حصل على مائة وأحد عشر بيتا. وقد جرت هذه القصيدة على البحر الرجز. ورويّها حرف النون[62], وموضوعها مديح الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومطلعها :

الحمـد لله الـذي يعطـي الفضـل

والجـود والإحسـان والنعمـان

يـا قادم الجـود كذا الإحسـان

صـل على الهـادي بني عدنـان

وبآلـه أصحابـه متتابــع

في مـدة الأيـام والأزمــان

افتتح الشيخ قصيدته بالحمد لله والثناء عليه,وهذا من تعاليم الإسلام, وخالف ما كان عليه الشعراء القدامى من افتتاح الشعر بوصف الناقة أوالغزل أو الوقوف على الأطلال. وكان المديح بمعناه الخاص كان العلماء يفتتحونه بالحمد لله

[61] فرلان: اسم بلد الذي نظم القصيدة فيه. و قد ذكر ذلك في القصيدة إلا أنه لم يعرف أين يكون هذا البلد.

[62] الرويّ هو حرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال قصيدة لامية أو ممية. سعد الدين التفتازاني. مختصر المعاني. مكتبة يعسوب الدين عليه السلام الإلكترونية.

والشكر والثناء عليه تبارك وتعالى بعد البسملة. وأثنى على الله بأنه يعطي الفضل مصداق قوله تعالى{.....قل إن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم}[63] وأنه يعطي الجود والإحسان والنعم كلها لله ويعطيها لمن يشاء ومتى شاء. ثم صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الهادي كما شهد له الله تعالى في القرآن { ....وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}[64], وعلى آله وأصحابه والتابعين لسنته إلى نهاية الأيام والأزمان وهو يوم الدين أو إلى الأبد.

ففي الأبيات التالية باشر الشيخ موضوع قصيدته وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ليلفت أنظار سامعيه بأسلوب رائع كأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وناداه وقال (يا سيد الثقلين). ثم ذكر منزلته وصفاته الجميلة وأخلاقه الحسنة ومعجزاته التي أعجز البشر بها, كما كان الأمر عند الشعراء يذكرون أخلاق وشمائل ممدوحهم. فيقول في هذه الأبيات:

يـا سيـد الثقلين أنت وسيلنـا

في نيـل مـا نرجوه للرحمـن

اشفع لنا يـا خير مـن فوق الثـرى

في المعضـلات[65] الدهر ولأخـران

يـا خير مخـلوق ويـا خير الورى

جئنـاك تشفيعًا فخـذ بيــدان

---

[63] سورة آل عمران الآية 73

[64] سورة الشورى الآية 52

[65] المعضلات: الشدائد والمُعْضِلاتُ الأمورُ الشِّدادُ . لسان العرب لابن منظور: ج1 ص: 334

يـا سيـد الكونين أنت مـلاذنـا

في هـذه الـدنيا ويوم الديـن

يـا أقرب الرسـل إلى ربّ الورى

مـن جـاء إليك مـوصلا بأمـان

يـا مـن تشكى الظبي في أحبـالها

فتطلقت فـورا بغيـر تــوان

رجعت إليـك بعيد سقي فصيلـها

عفيت عـن الصيـد كذا ذبحـان

وثبت بـوثب نـاطقـات لسانهـا

أنت رسـول الله ذو الإحسـان

مدح الشيخ آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأبيات بذكر أسمائه وصفاته وأخلاقه ومعجزاته كما في الأبيات السابقة. وامتزج المديح بالدعاء. فناداه يا سيد الثقلين أنت وسيلتنا إلى ربنا لنجد كل ما نريد وما نتمنَّاه من عند الله تبارك وتعالى, وأول ما نرجو هو أن تشفع لنا وينجينا الله من الشدائد في الدنيا والآخرة. فخذ بيدي وهو خير خلق الله أجمعين. وأنت أقرب الرسل إلى الله تعالى وهو رب الورى فكل من جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به واهتدى بهديه فقد وصل إلى بر الأمن ونجى من أحزان الدنيا والآخرة. ثم انتقل إلى ذكر شيئ من معجزاته التي بها أعجز البشر. منها قد شكت ظبية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صادها أعرابي فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عن وقّت بعهدها وشهدت برسالته صلى الله عليه وسلم وإحسانه لها. فسرد

الشيخ قصة الظبية في أبياته بعبارة وجيزة وفصيحة وبليغة.

ومع أن الشيخ أراد المديح بقصيدته لكنه أظهر طمعه ورغبته في رحمة الله تعالى وبالغ في أبياته بدعاء الخير في الدنيا والآخرة. والتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأزواجه وشيخ طريقته وغيرهم. فيقول:

يـا رب يـا رحمـن يا رب العلى

بالـعرش والكرسي أجب بدعـان

واعـط لنـا سعدا بيوم وفاتـنا

وأكثر لنـا الأرزاق بالتيجـان

وسـع لنا قبـرا بيوم نزولـه

واجعلـه روضـا بالنعيم دنــان

وانطق بنـا عند السـؤال جوابنـا

قولا صحيحـا أنت ذا الإحسـان

بمحمــد وصحابـه وبفاطمـة

كـن لي مجيب دعـاءنـا رحمـان

فدعا الله بالرحمن كما هو من أسماء الله الحسنى, إما أن تدعوالله تعالى باسمه الله أو الرحمن أو أي اسم من أسمائه الحسنى على السواء كما جاء في القرآن الكريم { { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى....}[66] ورب العلى وتوسل بالعرش والكرسي وبالشيخ أحمد التيجاني أن يجيب الله له الدعاء, والدعاء هو السعادة يوم الوفاة وكثرة الرزق,ويوسّع الله لنا القبر يوم

[66] سورة الإسراء الآية : 110

النزول فيه ويكون روضة من رياض الجنة مليء بالنعم.وينطق ألسنتنا عند السؤال كما قال تعالى{.....يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيات الدنيا وفي الآخرة.....}[67] وأتوسّل إليك يا ذا الإحسان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع أصحابه , وابنته فاطمة أن تجيب دعاءنا وأن يبسط الله لنا الرزق بحرمة الشيخ التيجاني. فهنا أظهر توسله بما قد ذكر سابقا.

أما الأبيات التالية فقد ختم بها القصيدة بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم كما افتتح القصيدة بها والدعاء وذكر اسم ناظم القصيدة.

صلواتنا وسلامنا خير الورى

والآل والأصحاب والإحسان

بصلاتنا نرجوا الإله يثوبنا

في هذه الدنيا ويوم ديان

واغفر لناظمها عُبَيْدَك آدم

نسل سيوطي عبدك الرحمن

أزواجه ولوالديه جميعهم

أشياخ والأصهار والإخوان

واغفر لكل المسلمين ومسلمة

واختم لنا بالخير يا منان

يقول الناظم نصلي ونسلم على محمد وهو خير الورى صلى الله عليه وسلم وعلى آله و أصحابه أجمعين. ثم أتوسل بالصلاة إلى الله أن يحصل بهذه القصيدة أجراً في

[67] سورة إبراهيم الآية: 27

الدنيا والآخرة. وأن يغفر الله لناظم هذه القصيدة وهو عبيد الله بتصغير اسم العبد تواضعا لله تعالى. واسمه آدم ابن عبد الرحمن ومن سلالة الشيخ عبد الرحمن السيوطي ولوالديه وأزواجه وجميع أشياخه وأصهاره والإخوان. وأن يغفر لجميع المسلمين والمسلمات ويختم لنا الله بالخير بمنّك ياديّان يا منان.

ثم استمر بالدعاء في الأبيات التالية, وذكر عدد أبيات القصيدة وتاريخها كما هو الأمر عند علماء القرن التاسع عشر والقرن العشرين في إنتاجاتهم.

يقول في هذه الأبيات:

أدعوك يا رب وأنت إلهنا

يوم الوفاة لقاؤنا عدنان

وصية خير الأنام محمد

كن لي مجيب سؤالنا رحمن

بحمد الله بدأ نظمنا

في يومي الأحد وفي صفران

في عام ألف وثلاثة مأة

ست وستين وفي فرلان[68]

حسابها عشرون تابع مأة

فأقبل لنا ربي بذي الرضوان

[68] فرلان: اسم بلد الذي نظم القصيدة فيه. و قد ذكرالشيخ ذلك في القصيدة إلا أنه لم نعرف أين يكون هذا البلد , وليس من طلابه من ذكر للباحث أين يكون هذا البلاد.

وأدعوك يا رب وأنت إلهنا أن نلقى نبيك العدناني يوم الوفاة. وأن تعطينا كل ما سألناك بجاه خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم يا رحمن.

وأخيرا كرّر حمده لله تعالى كما بدأ به في أول قصيدته . وذكر تاريخ هذه القصيدة بأنه بدأها يوم الأحد من شهر صفر سنة ألف وثلاث مائة وست وستين هجرياً (1366هـ). وقام بهذا النظم في بلد يسمى فرلان . ولم يحصل الباحث على موقع هذا البلد. إلا أنه من الأماكن التي زارها الشيخ أيام رحلاته. وذكر عدد أبياتها وهي مائة وعشرين بيتا (120) تقبّل الله منا بحرمة صاحب رضى الله تعالى و هومحمد صلى الله عليه وسلم. وبهذا ختم مديحه في هذه القصيدة.

القصيدة الثانية: فيض الإلهي:

(1) نعرض بهذا كي نذاكر سيدي * خير الخيار واصل كل سعادة

(2) لولاه أحمد ما خلق الورى * بصلاته طاب المياه أو الثمرة

(3) أصل الوجود وخير خلق كلهم * لا مثله في ذا الدنا لقيامة

(4) يا صاحبي أصغ إلي مسامعا * تسمع مقالة ناصح لا فخرة

(5) إن كنت ذا لب عليك بمدحه * تحظى بخيرات الإله غزيرة

(6) بثنائه تمحى ذنوبك لا مرى * فتكون في دار السلام لا ترحة

(7) مدح نبيك يا أخي فإنــه * فرض عليك مؤكـد لاسنـة

(8) يا فوز من يثني عليه محمـد * في هذه الدنـيا ويوم ديـانة

(9) يدخل الجنان إلهه في زمـرة * الأولى بمدح النبي صاحب رفعة

(10) بثنائه تظفر برزق في الدنـا * وتموت ريـانا بدون مشقــة

(11) روح النفوس وروح خلق كلهم * سعد الإله سعد الخلائق جملـة

(12) والنبي موسى قد تمنى أن يكن * في زمرة المختار خير جماعــة

(13) صلى إماما الأنبيــاء وراءه * في ليلة الإسراء ذلك رتبـــة

(14) يوم القيامة لم يكلم ربنــا * أحد سوى مختار نا يا زمــرة

(15) ذيب وضب والغزالة صدقوه * شجر حصاة سبحت في كفه

(16) جبريل مخلوق لخدمة سيدي * أسرى به فوق البراق بليلـة

(17) وخصائص المختار ليست تنقضي* بل جاوزت أقوال ناطق كثرة

(18) يا من يود سعادة في ذا الدنـا * أو يوم أخرى فاثن خير البرية

(19) تنجى بأهوال المعاد وهاهنـا * فتكون في فضل الإله أونعمة

(20) انشق بدر من دعاءك أحمـد * ودعوت شمسا فارجعن في سرعة

(21) وبصاع تمر قد دعوت إلهنـا * أشبعت جيش المسلمين كثيـرة

(22) أسقيتهم بأنامل من خمسـة * ينبو بماء كالبحار غزيــرة

(23) لاغرو في هذا لكونك خير من * خلق إله من غير شك أو مريـة

(24) كفار مكة خاسرون لبغضـه * ماتوا بغيظ كالوليـد وعتبـة

(25) سل عن أبي حين واعد قتلـه * قد ساء وعد قتال خير البريـة

(26) لعن أبي وحزبه لما طغــوا * وتواعدوا قتل الـرسول لمينـة

(27) لما أتى أحد فجـاء لوعـده * حجبوه أخيار الصحابة حجبـة

(28) قال النبي عليه رحمة ربــه * خلوا عليه سبيله يا زمــرة

(29) أخذ الرسول بحربة من صحبه * يا ويحنا كنا بذلك حضــرة

(30)طعن الأبي بها فئاب لحينـ * ه يصرخ غطيط البكر[69] يخشى عودة

(31)مات الأبي بسرب لما قفلوا * ياليته لـو لـم يجئ لقاتلــة

(32)اذكر أبا جهل غبي وحزبه * جاءوا إلى بدر قتال صحابــة

(33)صاروا قتالي بعضهم في قيدهم * هرب البواقي صحر عين في سرعة

(34)قتلوا غبيا لم يعد في بيتــه * يا ليته دخل الجحيم لا مريـة[70]

(35)من يوم ذاك معذب في حفرة * لم تنقطع أبدا ليوم قيامــة

(36)وعدوا الرسول بعوده في بدره * وفَّى بذمته و خافوا عـودة

(37)بطل شجاع قد يخاف لقاءه * معطى الأنام بفضله ذو عزمة

(38)وفضائل المختار جازت ورقنا * والرمل يكثر عن حساب جماعة

(39)و ترابنا عدت حساب الحاسبين* والدلو لم ينقص بحار غزيرة

(40)يا خير مخلوق الإله شفيعنـا * كن غائثي في يومنا وأخير ة

[69] غطيط البكر: الصوت . وقال امرؤُ ألقيس : (يَغِطُّ غَطِيط البَكْرِ شُدَّ خِنافُهُ * لِيَقْتُلني والمَرْءُ ليسَ بقَتَّال)

[70] لا مرية : لا شك

(41)ظل الغمام برأس أحمد مرتضى * في يوم فتح ابتغا لسعـادة

(42)ودعاء ء خير المرسلين فلم يكن* يحصر بواحد إن دعا لا نكرة

(43)يسري بمرء لم ولد وحفده * بالخير أو ضد فذا لا غـروة

(44)ودعاءه سيف بتار فلم يقف * كالسهم حقا في نفوذ رمية

(45)ودعا لعباس لعلم كتابــه * قد صار حبرا في جماعة صحبة

(46)ودعا لكسرى أن يمزق ملكه * لـم يبق بيت ملكه لقيامـة

(47)ودعا لأنس بالقنا فانظر إلى * أملاك أنس لم يساوا كثـرة

(48)إشفى بعين علي لما أرمدت * في يوم خيبره فصارت صحة

(49)ونفث بماء البير قل مياهها * كثر المياه فصار حلوا غـزرة

(50)سل عن جمال ذي خصومة صال عن * أربابه لم يدن خوف هلاكة

(51)لما رأى خير الأنام محمد * خضع وبرك فاشتكى من نحرة

(52)فانظر إلى شجر تجر بعروقها * لما دعاها خير كـل عصابـة

(53)مالت يمينا والشمال أمامها * قلعت سريعا ثم جاءت دعـوة

(54)كيف الكلام ذياب لما صدقت * خير الخيار محمدا ذا رفعــة

(55)اذكر ضبابا حين كلّم سيدي * في مجمع الأصحاب خير بريـة

(56)كلمت الظباء النبي لما صيدت * تشكوا الرضاع فصيلها في غيضة

(57)حملت بعهد العود لما أرضعت * عادت سريعة لم تخالف عهـدة

(58)تعدوا وتصرخ ناطقات لسانها * أنت الرسول إلهنا لا مريــة

(59)وشكى إليه الناس قحط مياههم * فدعا فسال الماء وبلا كثــرة

(60)في يوم سبع صار ينزل سرمدى * يجري بليل والنهار كثيــرة

(61)وسماء صحوا حين تشكوا قحطهم* لا قزع فيها بل وليس سحابة[71]

(62)وشكوا إليه رسولنا خير الورى * تكثيره في الصب أهل مدينـة

(63)فدعا الإله برفعه فانظر إلى * وقت الدعاء فسال حولى طيبة

(64)من قبل ذاك المطلب أسقى به * فأجابه رب الأنام بسرعــة

[71] الصحو: ذهاب الغيم ، يقال سماء صحو. القزع :قطع من السحاب رقاق كأنها ظلّ إذا مرّت من تحت السحابة الكبيرة

(65)بسل أمين لا يخاف عدوه * موفي بعهد ليس ينكث عهده[72]

(66)وصفاته تملأ دواوين الكتب * لم ينحصر أبدا ليوم قيامــة

(67)وصفات خير الأنبيا لم ينحصر* تملأ الدواوين الكتاب كثيرة

(68)يعجز لسان عن صفات نبينا * لو وصفوه الخلائق في مدة

(69)يا مادح الأشخاص غير محمد* أصغي إليَّ لتسمعي بنصيحة

(70)تكثيرك الأمداح لغير رسولنا * فحش بذا قال الأئمة كثرة

(71)إن كنت تهوى ذاك فامدح سيدي * تحظى بخيرات الإله عظيمة

(72)نسل الكرام عن جهتيه كليهما* تام الحقيقة والغزيزة حسنة

(73)حسن المحيا ذو الوجاهة هاشم * أهل الثنا أهل السعادة جملة

(74)إن كنت ذا ملكه أخي فتمدحه * خير الورى يجزيك ربي خيرة

(75)منع على الآباء ولود نظيره * من آدم حتى ليوم قيامـة

[72] بسل: أي شجاع , والبسالة : الشجاعة.

(76)وتوسلي شيخي حفيدك سيدي * شيخ الشيوخ تجاننا ذو رفعة

(77)يا شيخنا جئنا إليك تصلني * من خير جدك كن بأيدي أخذة

(78)كي ينجني عن سوء يوم ديارنا * والهول في يوم القيامة فزعــة

(79)كن آخذا بالأيد أنت إمامنا * في هذه الدنيـا ويوم قيامــة

(80)أنظر بطرفك صاحبي في نسمة * أرأيت مثل نبينا في خلقــة

(81)يعطي بلا منع فليس يخاف من * قلل الزمان وفقره ذو همــة

(82)يا خير خلق الله جل إلهنـا * يخشاك كل حسود حقا هيبـة

(83)يرعد عدوّ حين يحضر مجلسه * صدق المقالة ذو مهابة جمـة

(84)لو كان موسى أو خليل بذا الدنا * طاعاه حقا في بلوغ رسالـة

(85)والأنبياء جميعهم نوابــه * حملوا العهود لربه في نصرة

(86)حاشى لشمس أن تحاكي ظله * وكذا ذباب لم يقع في ثوبه

(87)والأرض لم تبرز بفضلك كله * والحلم ممنوع لخير بريــة

(88) كفتاه مرفوعه على كل الأنام * لجلوسه فيهم لعظم مزيــة

(89) وتراب لم تؤثر بقدمك سيدي * آثرت صفاءا مشيه ذو عظمة

(90) يا خير خلق الله أحمد المصطفى * أنت المكلم لحم قدر مضغـة

(91) يا قاطع الكفار أنت شفيعنا * إن جاء نا الأهوال يوم قيامة

(92) يا ويحنا[73] كنا عبيد بتولة * فنحوز فوزا ليس تحصى كثرة

(93) يا راضيا فوق السماء بجسمه * وبروحه أسرى فذا من فضلة

(94) قد فاز عبد الله خادم نعلـه * يا ابن مسعود جزاك بخيرة

(95) الله فضله على كل الورى * قد طاب كلا جسمه و طبيعة

(96) لم يخلق الرحمن مثل نبينا * من ملك أو غيرهم لقيامــة

(97) منجي الخلائق يا نجي الهنا * مهد الأنام برشده ذو فخـرة

(98) لو كانت الأرواح تفادك سيدي* لجدير أن يفدى خيار جماعة

[73] ويْح : كَلمةُ تَرَحُّمٍ وتَوَجُّع، تقالُ لمن وَقَع في هَلكةٍ لا يَستَحِقُّها. وقد يقال بمعنى المدح والتَّعجُّب

(99) أعطى كثير المال بات بليله * طاو البطون لربه من خشية

(100) يا منزل القرآن لأحمد المصطفى * يسر لنا أمرا الدنا وقيامة

(101) وبجاهه جئنا إليك توسلا * أقبل ولا تخيب بذلك دعوة

(102) ماذا أقول لمدح منقذ كلنا * عجز الخلائق وصفه ذي عزمة

(103) صلى عليه إلهنا أبدا إلى * يوم القيامة لم تعد من كثرة

(104) واغفر لنا ولوالدي أشياخنا * واحشر بنا يا ربنا في زمـرة

(105) الحمد للرحمن قدر ذا لنا * من غير حول بل ولا بفصيحة

(106) وعلمت أن الله يختص عبده * بفضائل العظمى بدون سعاية

(107) وهدبت هذا لم أكن من أهله * فأصلح أخي إن كنت صاحب نهية

(108) الحمد لله قديم صفاته * معطي الأنام بفضله ذي قدرة

(109) حي قديم عالم بِخَفِيّةٍ * يسّر لنا كل الأمور عسيـرة

(110) يا رب يا رحمن خالق كلنا * سهل لنا موتا وأمر قيامـة

(111) أسألك يا رحمن أنت مجيبنا * حصنا وسترا في الدنا وديانة

(112) أعط لنا النعمى و فضلا سيدي * في دارنا هذا ويوم غشيـة

(113) نرجوك يا الله جاه نبينا * عفوا وغفران الذنوب عظيمة

(114) من رامنا بالسوء رمه إلهنا * وأحفظ لنا ضر الخلائق جملة

(115) بآلي العزيمة نوح ثم خليلنا * موسى وعيسى ثم أفضل أمة

(116) ستر لنا دنيا وأخرى سيدي * بالمصطفى خير العصابة[74] رحمة

(117) وبه إلهي كن معيني في الدنا * وادفع لنا ضنكا الدنا وقيامة

(118) صل وسلم يا كريم على النبي * والآل والصحب الكرام الأجلة

(119) ترضى إلهي عن تباعة أحمد * منهم إلى يوم الفراق جماعـة

(120) يا ناظر في الرجز هذا فلتكن * ذا النصح والإصلاح لا تك لومة

(121) أنظره عين رضا بغير عداوة * والسخط ليس يصح فعل جميلة

[74] العصابة : الجماعة ما بين العشرة إلى أربعين. كما في لسان العرب مادة عصب ج: 1 ص: 602

(122) عين الرضى عن كل عيب خصرت* والبغض يبدي عورة وفضيحة

(123) يا شامتي كفي شماتة إن تكن * أهل النصيحة والعقول كثيرة

(124) إني لم أشتم بنظمي واحدا * فأنظره كرا كي تكن ببصيرة

(125) إلا تكن أهل الغباوة والعنا * فتكون من أهل الذنوب غزيرة

(126) لا ردّ فينا عن مسيء لعرضنا * والسب قد يرجع لصاحب شتمة

(127) أحمده ربي قد يفي بمراهبه * حـي عليم لا يـزال بعـزة

(128) يا رب يا منان يسر أمرنا * نلقاك سعدا يا عظيم كرامـة

(129) يسر لنا سكرات عند مماتنا * ثبت لنا نطقا صحيحا روضة

(130) طول القيامة خفف يا ربنا * ميزاننا نرجوك خيرا جمـة

(131) إن جاءنا يوم الحساب فثقله * تعطي لنا كتبا يمينا سعدة

(132) اشرب لنا حوضا بجاه رسولنا * جاوز لنا صعب الصراط كلمحة

(133) بيض بوجهي في لقائك سيدي * اسكن بنا ظلا بجه صحابة

(134) قصّر بطول قيامنا وحسابنا * يسّر لنا سكرات الموت سهلة

(135) نرجوك في كل المخاوف ربنا * أمنا وعفوا يا مجيب لدعوة

(136) لا كسب خير عندنا إلا الذنوب * لكن عفوك غمرت بعصابة

(137) يا رب ذا الإحسان أنت إلهنا * ألطف بعبدك في الدنا وقيامة

(138) انطق بنا بالشهادة عند وفاتنا * وسؤالنا ثبت صحيحا كلمة

(139) جاء المقدم فوق خلق فاستجب * بدعائنا كلا بجاه صحابة

(140) جاه المقدّم فوق خلق فاستجب * بدعائنا كلا بجاه صحابة

(141) إن جاءنا أمر النوائب في الدنا * جاه المعلى فاسعفي بلطيفة

(142) فاقبل إلهي سؤلنا بمحمد * خير الأنام وآله ذي رتبـة

(143) صل وسلم يا إلهي على النبي * والآل والصحب الكرام أجلة

(144) وعلى جماعة التابعين وتابع * منهم إلى يوم الديانة حشرة

(145) في عام عز سش كان ختم نظامها * بجماد الآخر نقتفيه بخيرة

(146) تلميذ طلاب فآدم جاء به * نسل لعبد الله قاطن حارة[75]

[75] (قطن) القُطون الإقامة قَطَنَ بالمكان يَقْطُنُ قُطوناً أقام به وتَوَطَّنَ فهو قاطنٌ. لسان العرب لابن منظور .مادة قطن ج: 13 ص: 342 .

(147) المدابوي ذو البلادة والجهل * وكسالة وملالة ذو غفلـة

(148) فأصلح أخي خطيئة في نظمنا * واعلم بأني لست أهل صناعة

(149) سميته فيض الإلهي وكيلنا * فاقبله يارحمن بدون إبايـة

(150) من ذا الذي ما ساء قط أو الذي * في فعله الحسنى بغير إساءة

(151) إلا الأنبيا والمرسلين وأصفيا * اختصهم رب الأنام بعصمة

(152) وعليهم صل وسلم سرمدا * وتزيد ذاك على خيار جماعة

(153) وحساب نظمي جاء فرح فاحسبي * تلقاه حتما لم يكن بنقيصة

(154) واغفر لنا والمسلمين إلهنا * واختم لتا بالخير عند ختامة

وهذه القصيدة الثانية فإنه اختص منها بابا في مدح سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم في نظمه الذي سماه فيض الإلهي,وعدد أبياتها مائة وثلاث وخمسين بيتا. وهي أيضا جارية على بحر الرجز كما ذكر ذلك في أحد أبيات القصيدة. وهي تائية أي رويّها التاء.

ومطلع هذه القصيدة التي اختص فيها هذا الباب. وحاول الردّ على الذين عجزوا بأن يجيبوا على الأسئلة التي وضعها قي كتابه المسمى (الجواب المسسكت)[76].

وأما باب المديح في هذه القصيدة فقال : (باب في مدح سيد الخلائق أجمعين) مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر أسماءه وشمائله. وألقى فيها نصيحة قيّمة بأسلوب جذاب بمدح النبي صلى الله عليه وسلم لاغيره.

وفي هذه الأبيات يقول:

نعـرض بهـذا كـي نذاكر سيـدي

خيـر الخيـار واصل كل سعادة

لـولاه أحمـد ما خلق الـورى

بصـلاته طـاب الميـاه أو الثمرة

أصـل الوجود وخيـر خلـق كلهم

لا مثلـه في ذا الـدنـا لقيامـة

يـا صاحبي أصـغ إلي مسامعـا

تسمـع مقالـة ناصح لا فخـرة

إن كنت ذا لـب عليك بمـدحـه

تحظى بخيـرات الإلـه غزيـرة

يقول في هذه الآبيات: سنعرض إليكم هذه الأبيات كي نذكر ونمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير الخيار أجمعين. و به تصل السعادة والخير إلينا, وهو المسمى أحمد لولاه ما خُلِقَ كلٌّ شيء. وببركة الصلاة عليه يطيب ذوق الماء وطعم الأثمار. هو أصل وجود الكون

[76] (الكتاب المسكت) كتاب كتبه الشيخ آدم ليمتحن به علماء عصره وجعل فيه أسئلات ليجيبوا عنها, ولم يجب عليها أحد.

وخير ما خُلِقَ كلها وليس كمثله في جميع المخلوقات درجة من هذه الدنيا إلى يوم القيامة. وقبل الخوض في الغرض الأساسي من هذه القصيدة, بدأ بنصيحة يقول فيها اسمع مني مقالة إني لك لناصح لا فاخر. إن كنت ذا عقل سليم حاولْ أن تكون مِمّنْ يمدحونه. لتفوز بخيرات الإله كثيرة.

وفيما يلي أبيات ذكر فيها حكم مدح النبي صلى الله عليه وسلم وما تفوز به من الخيرات ثوابا من عند الله. فيقول فيها:

بثنـائه تمحى ذنوبك لا مـرى

فتكون في دار السـلام لا ترحـة

مـدح نبيك يـا أخـي فإنــه

فـرض عليك مـؤكـد لاسنـة

يـا فوز مـن يثني عليـه محمـد

في هـذه الدنـيا ويـوم ديـانة

يـدخل الجنـان إلهـه في زمـرة

الأولى بمـدح النبي صـاحب رفعة

بثنـائه تظـفر برزق في الـدنـا

وتمـوت ريـانا بـدون مشقــة

يقول إذا عملت بهذه النصيحة التي ذكرت لك, وهي أن تمدح الرسول صلى الله عليه وسلم لأن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم نوع من العبادة. فتعيش في سلام بدون مشقّة في الدنيا والآخرة. أما قوله (بثناءه) يعني بمديحه صلى الله عليه وسلم. لذلك لابدّ أن تمدح النبي صلى الله عليه وسلم لأنه فرض لا سنة والفرض أقوى من السنة.

يا لفوز كل من يمدح النبي في الدنيا والآخرة فقد فاز فوزاً عظيماً. والفوز هو دخول الجنة في زمرة الأولى بحق مدح النبي صاحب الدرجة الرفيعة. وبمدح النبي صلى الله عليه وسلم تظفر برزق في الدنيا و براحة عند الموت وسلامة في الآخرة.

ظـل الحمـام برأس أحمـد مرتضـى

في يـوم فتح ابتغـا لسعـادة

ودعـاؤه خيـر المرسلين فلـم يكن

يحصـر بواحـد إن دعا لا نكرة

يسـري بمـرء لم ولـد وحفـده

بالخيـر أو ضـد فـذا لا غـروة

ودعـاؤه سيـف بتـار فلم يقف

كـالسهم حقـا في نفـوذ رميـة

ودعـا لعبـاس لعلـم كتابــه

قـد صـار حبـرا في جماعة صحبـة

ودعـا لكسـرى أن يمزق ملكـه

لـم يبـق بيت ملكـه لقيامــة

ودعـا لأنس بالقنـا فانظـر إلى

أمـلاك أنس لـم يسـاوا كثـرة

إشفى بعيـن علي لمـا أرمـدت

في يـوم خيبـره فصارت صحـة

ونفث بمـاء البيـر قل مياهها

كثر الميـاه فصـار حلوا غـزرة

والتفت بالحديث عن الدعوات التي أجاب الله له صلى الله عليه وسلم. وأنه مستجاب الدعوة، فقال الشيخ ظلّ على رأسه الحمام وذلك خطا إملائي منه لكن الثواب ظل الغمام على رأسه في يوم فتح مكة لسعادته صلى الله عليه وسلم وهي معجزة. ودعاءه خير المرسلين جامع لكل لم يكن قاصرا لأحمد إن دعا له, فتصل للمرء و ولده وحفيده من كل خير. ولا عجب في ذلك لأن دعاءه صلى الله عليه وسلم كسيف بتار حاد يقطع في سرعة, أو هو كالسهم في سرعة الوصول إلى الهدف.ووجه الشبه في هذا التشبيه هو السرعة وعدم الانتظار. ومثال ذلك دعاءه صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقال:

(...اللهم علمه التأويل و فقهه في الدين و اجعله من أهلى الإيمان)[77] فكان أعلم الناس أو الصحابة بكتاب الله تعالى. وكذلك دعاءه لكسرى أن يقضي الله على ملكهم، فانكسر ملكهم ولم يبق لهم أثر ذلك. ولما لأنس بالغنى، فأغناه الله أموالا كثيرة. وفي يوم خيبر مااستطاع علي أن يخرج لهذا لأنه مصيب بوجع العين، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفي و أصبحت صحيحة. ونفث في بئر قلّ ماؤها، فامتلأت بماء عذب. كل هذا دلالة على سرعة إجابة دعوته صلى الله عليه وسلم .

يـا ناظر في الـرجز هذا فلتكن

ذا النصـح والإصلاح لا تك لومـة

أنظـره عين رضـا بغيـر عداوة

والسخط ليـس يصـح فعل جميلـة

[77] مستدرك الحاكم, باب ذكر عبد الله ابن عباس ابن عبد المطلب, ج: 3 ص: 617.

عيـن الرضـى عن كـل عيب خصرت

والبغـض يبـدي عورة وفضيحـة

و كرر الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم فيقول يا كريم صلّ على النبي وآله وأصحابه الكرام الأجلاء. وترضى عن إتباع سنة أحمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه منهم إلى عن نفارق الجماعة وهو الموت. ثم التفت إلى الحديث عن الناظر في هذا الرجز الذي نظمه مديحا للرسول صلى الله عليه وسلم فيقول يا من نظر في هذا الرجز فلتكن من الناصحين لي والمصلحين لما قلته في هذا الرجز, فلا تلمني في شيء وأنظر فيه بعين الرضى والقبول بدون عداوة, لأن السخط لايصحّ وليس بعمل جميل, لذلك فانظره بعين الرضى عن كل ما وجدت فيه من عيب فليس عن قصد. لا تبغضه, فالبغض لايؤدي إلاّ إلى تتبع العورات والفضيحة فاستر عيوب أخاك ولا تفضحه. وقد جاء في الحديث: عن أبي أيوب عن مسلمة بن مخلد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: من ستر مسلما في الدنيا ستره الله عز و جل في الدنيا والآخرة.[78]

يـا شامتي كفي شماتـة إن تكـن

أهـل النصيحـة والعقول كثيـرة

إني لـم أشتـم بنظمـي واحـدا

فـأنظره كـرا كي تكن ببصيـرة

إلا تكـن أهـل الغبـاوة والعنـا

فتكـون من أهـل الذنوب غزيـرة

[78] مسند الإمام أحمد بن حنبل : الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة رقم الحديث: 17000

لا ردّ فينا عن مسيء لعرضنا

والسب قد يرجع لصاحب شتمة

أحمده ربي قد يفي بمواهبه

حي عليم لا يزال بعزة

فيرد على من هجاه من معاصريه على ما بينهم من الاختلاف في بعض المسائل الفقهية كمسألة القبض والسدل في الصلاة وغيرها من السائل وأحكام الميّت والدعاء له. فينصحهم ويرد عليهم بالحسنة كما قال تعالى { فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم }[79]. فيقول يا من يسبّني أترك السبّ والشتم إن تكن من أهل النصيحة والعقل السليم. إنيّ لم أشتم أحداً في نظمي فانظر فيه مرات عديدة لتكون على بصيرة. إذا لم تترك الشتم فلتكن من أهل الغباوة والعنا وتحمل على نفسك ذنوبا كثيرة. فنحن لا نردّ على من أساء لعرضنا لأن الشتم والسب يرجع على الشاتم والرسول صلى الله عليه وسلم ذكر اللعنة على من سبّ أباه وأمه. عن عكرمة عن بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (ملعون من سب أباه ملعون من سب أمه ملعون من ذبح لغير الله ملعون.....)[80] . وأحمد الله ربّي قد يفي بمواهبه لعباده وهو حيّ الذي لا يموت وعليم بكل شيء ذو العزة والجلال.

وحاول الشيخ في ذكر تاريخ القصيدة كما كان الأمر عند علماء القرن التاسع عشرة والقرن العشرين . وأن يذكر الناظم اسمه. فيقول:

في عام عز سش كان ختم نظامها

بجماد الآخر نقتفيه بخيرة

تلميذ طلاب فآدم جاء به

---

[79] سورة فصلت الأية: 34

[80] مسند الإمام أحمد بن حنبل. الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة رقم الحديث: 2916

نسـل لعبـد الله قاطن حـارة

المـدابوي ذو البـلادة والجهـل

وكسالـة وملالـة ذو غفلــة

فأصلـح أخي خطيئـة في نظمنـا

واعلـم بأني لسـت أهل صناعـة

سميتـه فيـض الإلهـي وكيلنـا

فاقبلـه يارحمـن بـدون إبـايـة

مـن ذا الـذي ما ساء قط أو الذي

في فعلـه الحسنـى بغيـر إسـاءة

إلا الأنبيـا والمرسليـن وأصفيـا

اختصهـم رب الأنـام بعصمـة

وعليهـم صـل وسلـم سرمـدا

وتزيـد ذاك على خيـار جماعـة

وحسـاب نظمي جـاء فـرح فاحسبي

تلقـاه حتمـا لم يكـن بنقيصـة

واغفـر لنـا والمسلمـين إلهنـا

واختـم لنـا بالخيـر عند ختامـة

نظم الشيخ هذه القصيدة بعد الحمدلة والصلصلة وذكر تاريخ النظم ورمزه كما تعوّد علماءنا أن يذكروا التاريخ وعدد الأبيات رمزاً. فيقول (في عام عز سش). وكتب فوق هذه الحروف هكذا (70- 7- 300- 1000) فيعني هذا أن علماء الحساب يرمزون كل حرف

برقم خاص له. العين هنا هو السبعون. والزاي هو السبعة . والسين هو الثلاث مائة والشين هو الألف. فيعني ختم نظم هذه القصيدة في عام 1377هـ. وفي شهر جمادى الأخير فنقف قيها مع رجاء الخير. وذكر اسم الناظم وهو تلميذ طلاب, تواضعاً كأنه يقول لم يبلغ درجة الطالب بل هو تلميذه. واسمه آدم من سلالة عبد الله الذي أقام في حارة مدابو هو مَنْ جاء بهذا النظم. ويظهر أيضاً تواضعه فيصف نفسه بالبلادة والجهل والكسالة والغفلة والملل وهو أن تَمَلَّ شيئاً وتُعْرِض عنه قال الشاعر وأُقْسِمُ ما بي من جَفاءٍ ولا ملَل[81].ولم يتصف الشيخ بهذه الصفات حساً ولا معنىً. وإنّ التواضع من خصال المتقي. وفي الحديث , عن عابس بن ربيعة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر : يا أيها الناس تواضعوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس عظيم ومن تكبر وضعه الله عز و جل فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير وحتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير.[82] فأرجوك يا أُخيّ ـ تصغير أخي ـ أن تصلح ما في هذا النظم من الأخطاء. واعلم أني لستُ أهلا لهذه الصناعة أي نظم الشعر. وسميتها فيض الإلهي وهو وكيلنا في الدنيا والآخرة فاقبله ربي الرحمن بدون امتناع. يا من ذا الذي ما عصى قط ربّه ولم يكن في فعله إلاّ الحسنى بدون إساءة. وهو معصوم صلى الله عليه وسلم. وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين وأصفياء اختصهم ربّ الأنام بالعصمة. وهو تجنّب معصية الله تعالى. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُعمرون. فعليهم صلوات الله وسلامه سرمداً بلا انقطاع إلى الأبد , وصلاة وسلام فوق ذلك على خير جماعة محمد صلى الله عليه وسلم. ثمّ ذكر ما يحمله هذا المديح من الأبيات رمزا كما كان في التاريخ. وقال عدد أبيات نظمي عند الحسابيِّين هو ـ جاء فرحٌ ـ فعَدِّدْه تجده كاملاً بدون نقصان. والعدد هو ـ الجيم 3 . والألف 1 والهمزة أيضاً كذلك 1. ثم

---

[81] لسان العرب لابن منظور. مادة ملل : ج 11 ص 628 .

[82] مسند الشهاب : ج 1 ص: 219 رقم الحديث : 335. باب: من تواضع لله رفعه الله .

الفاء 80 . و الراء 200. والحاء 8 . والمجموع مائتان ثلاثة وتسعون بيتا. مع أن الشيخ أخطأ في التعديد وقال (تمت بحمد الله تعالى وعدد الأبيات مائتان وإحدى وتسعون بيتا) لكنّ الرموز المذكورة إذا حاسبتها وثلاثة وتسعون بيتاً. ويسأل الله تعالى في البيت الأخير أن يغفرلنا وللمسلمين ويختم لنا بالخير والسعادة.فانتهت القصيدة بهذا الدعاء كما فتح القصيدة .

القصيدة الثالثة: الهمزية:

(1) الحمد لله كثير عطـاء * ذي العرش باقي ذي العلى وقضاء

(2) ثم الصلاة على الرسول الساقي* والآل والصحب الكرام النجباء

(3) فأطع نبيك يا صديقي إن ترد * تلقى إلهك ءامنا برضــاء

(4) من طاعه أطــاع إلهنـا * فاقرأ بآية من يطيع لتـراء

(5) فرض الإله إتباعه في كتبـه * فانظر إليهم كي ترى إجلاء

(6) يعطيك رب العلمين بطوعه * بمئارب الدنيا ونعم لقــاء

(7) علم الكفار صفاته خير الورى * كتموه حقـاً طالبون مراء

(8) من ضله الرحمن ليس بذي الهدى * من يهده ربي ينل رشداء

(9) سيف الإله أرضه خير الملا * يا ليت أعداء له بعـداء

(10) عن رحمة الرحمن جل إلهنا * يا ويح أحباب لهم النعمـاء

(11) ذو الجاه عند إلهه يرضى بمن * يلجا إليه المصطفى الفضاء

(12) يلغظ لكفار كما أمر الإله * يرحم جميع المسلمين سراء

(13) ابن آمنة والحليمة هاشمي * خير خيار محمد الكرماء

(14) أنت المكلم لحم خيبر * و نجاك ربي سمة قتلاء

(15) أنت أمين الله سيد الأنبيا * وإمامهم في ليلة الإسراء

(16) يا ويحنا كنا خدام بتولة * أو حَسَنها وحُسَينها نجباء

(17) يا آخر المبعوث أول من أتى * حشر القيامة كن شفاء ضراء

(18) سيف الإله سلّ في أعدائه * هزموا جميعا خائفين رخاء

(19) أسألك ربي الأمن يوم اللقا * وفضائل الدنيا ونيل براء

(20) المجيب دعاءنا من جاهه * فأجب عبيدك قد أتى فضلاء

(21) إن كنت لم تقبل لصالح مثلنا * يا ليتنا أين المصير بداء

(22) أب لقاسم ثم طاهر سيد * برهام طيب فاطمة زهراء

(23) فضلت نساء العالمين جميعها * من طيبها طابوا بنات حواء

(24) زينب رقية أم كلثوم هذه * أبناء خير المرسلين طهراء[83]

(25) ووسيلتي فيكم جماعة أحمد * كونوا مجيب لآدم جرماء

(26) وجوابكم سعد لنا يا سيدا * يرضى الإله لنا بذاك رضاء

[83] ذكر الشيخ أبناء الرسول صلى الله عليه وسلم وبناته. وهم:القاسم وعبد الله و إبراهيم ثم فاطمة ورقية وزينب و أم كلثوم.

(27)ما جاء أحد من باب أحمد مصطفى* إلا ونال براءة وشفاء

(28)من جاهم فأعط عبيدك يا إله * خيرات الدنيا والأمن لقاء

(29)يا أول المخلوق أحمد مجتبى * لولاك كان جميعهم عدماء

(30)أس الخلائق سعدهم خير الأنام * من فضله طاب الثمار وماء

(31)وطباعه القرآن تابع حكمه * لم ينحرف أبدا إلى الأهواء

(32)لم يقبضن في حقه إلا إذا * هتك الشريعة لم يزل بضراء

(33)ذو العدل حق والسياسة سيد * والأنبياء نوابه الفضلاء

(34)لم يولدوا حقاً نظير نبينا * من أول الدنيا إلى الأخراء

(35)بشرى لعاص إن أتى أبواب من * قاد الورى بسيوفه وعطاء

(36)خير الأنام سعد الخلائق كلها * روح وروح في الدنا ولقاء

(37)من جاهه كنا خيار جماعة * لولاه كنا دونهم فعساء

(38)يا مكثر في مدح غير محمد * قلل بفحشك إن تكن عقلاء

(39)أبناء آدم لم ينالوا خردله * من فضله حتى جنود السماء

(40)فانظر جمادات أطاعوا أمره * شجرا وحجرا والحصا إجماء

(41)يسمع بتسبيح الطعام بكفه * والأسد كلمه كذا ظبياء

(42)من جا إليه ذنوبه يغفر بلا * شك وريب ليس فيه مراء

(43) كم من نبي قد توسل جاهه * في أسريعا لم يعد ببـلاء

(44) أنظر إلى جدي أبينا آدم * أو غيره من أنبيا وصفـاء

(45) أيوب ذو مرض شفاه إلهنا * من حرمة المختار خير علاء

(46) أنجى الخليل بناره من جاهه * وكليم عن شر العدا بفضاء

(47) من جاهه قدر لنا يا ربنا * بمجيئنا حرمي نفوز جزاء

(48) نأتي بحج ثم عمرة بعده * ثم الزيارة طيبة الأضـواء

(49) بيت الكرامة والمآثر والعلا * دار الأمانة والشفاء ضراء

(50) مهبط لجبريل أمين إلهنـا * بالوحي حقا من إله السماء

(51) ونقف تجاه القبر عند شفيعنا * نسلّم عليه وبعده دفعـاء

(52) إن لم تقدر لي بهذا يا إلـه * يسر لنا رأياه باللفظـاء

(53) أنت القدير بكل شيء فأعطني * لأفوز حظا لا شفاء وراء

(54) ماذا أقول لثنائه خير المـلا * عجز الخلائق كلهم بثناء

(55) وفضائل المختار ليست تنقضي * والرمل لا تحصى كذا حصباء

(56) ماذا تقول لمن هبه إلهـه * فضلا كثيرا جورت إحصاء

(57) وكفاك القرآن فضائل سيدي * وشفاعة الأولى كذا إسراء

(58) ها متعق يا ربنا ذا مضطر * جان أتى من بابه جرمـاء

(59) يدعى بآدم ذي الجاية مفلس * وبجاه خير المرسلين لجـاء

(60) فأغث عبيدك يا إلهي في الدنا * يوم القيامة ءامنا الأسواء

(61)خذ أيدنا يا خير من خلق الإله * يا رب العلمين معطاء

(62)بعتيق وعمر ثم عثمان الشهيد * وعلي زوج لفاطمة زهراء

(63)بيت العتيق وحفصة وخديجة * ثم البواقي المكرمات نساء

(64)وبسائر الأصحاب أحمد مرتضى * ثم الذراء من حواء عباء

(65)وبشيخنا التجاني أحمد ذي العلى * شيخ الشيوخ وسيد أولاء

(66)مت بحمد الله نظم قصيدتي * ثم الصلاة على بني طهراء

(67)والآل والصحب الكرام وتابع * من ذاك حتى يومنا ولقاء

(68)واغفر لنا ولوالدي وشيخنا * وجماعة الإسلام ثم نجباء

(69)واختم لنا بالخير عند وفاتنا * وفضائل الدنيا وصرف بلاء

ومن قصائد الشيخ آدم بن عبد الرحمن السيوطي قصيدته التي سماها
الهمزية. وقد جرت هذه القصيدة كالقصيدتين السابقتين على بحر الرجز. ورويّها الهمزة لذلك سميت بالهمزية, ولم تكن طويلة إلا أن أبياتها تسع وستين بيتا.

افتتحها بالحمد والشكر والثناء لله تعالى ثم صلى على النبيى صلى الله عليه وسلم كما كانت القصيدتين السابقتين الذكر. ومطلعها:

الحمد لله كثير عطاء

ذي العرش باقي ذي العلى وقضاء

ثم الصلاة على الرسول الساقي

والآل والصحب الكرام النجباء

فأطع نبيك يا صديقي إن ترد

تلقى إلهك ءامنا برضاء

من طاعه أطاع إلهنا

فاقرأ بآية من يطيع لتراء

فرض الإله إتباعه في كتبه

فانظر إليهم كي ترى إجلاء

إفتتح قصيدته بالحمد لله رب العلمين والثناء عليه تعالى بأنه كثير العطاء, يعطي لمن يشاء ما يشاء. ذي العرش المجيد. الباقي ذي العلى والقضاء. ثم صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويريد بالساقي الذي يسقي المؤمنين من حوضه يوم القيامة. وعلى آله وأصحابه الكرام النجباء أي الرفقاء له صلى الله عليه وسلم. فبعد الحمدلة والصلصلة بدأ بالنصيحة مع أن الغرض من هذه القصيدة هو المديح لكن ليلفت أنظار سامعيه, فيقول أطع نبيك صلى الله عليه وسلم يا صديقي إن كنت تريد أن تلقى الله ءامنا وراضيا مرضيا. وبيّن أنّ طاعة الرسول هي طاعة الله سبحانه وتغالى. كما قد ذكر ذلك القرآن, لذلك قال كل من أطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله واقرأ الآية من القرآن الكريم وهي قوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}[84] ليبرهن على ما قال. فقد فرض الله إتباع نبيه صلى الله عليه وسلم في كتبه المنزلة على أنبيائه فانظر في هذه الكتب كي ترای هذه البيانات واضحة.

[84] سورة النساء الآية: 80 .

أعـطيك رب العلمين بطوعه

بمئارب الدنيا ونعم لقــاء

علم الكفـار صفاته خير الورى

كتموه حقـا طالبون مراء

من ضـلـه الرحمن ليس بذي الهدى

مـن يهده ربـي ينل رشـداء

سيف الإلـه أرضـه خـير المـلا

يـا ليت أعـداء لـه بعـداء

عـن رحـمة الرحمـن جـل إلهنا

يـا ويح أحباب لهم النعمـاء

وثواب من أطاع الله ورسوله, أن يرزقه الله رب العالمين من نعيم الدنيا والآخرة. وأنّ الكفار قد علموا صفاته خير الورى صلى الله عليه وسلم قبل مجيئه وكتموا الحق وهم يعلمون كفراً و جدالاً. فمن يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. كما قال الله تعالى:{ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا}[85] وقوله تعالى:{ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[86].وشبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيف لعلاقة المشابهة بأنّ السيف تقطع الأشياء وتجعل له نهاية, وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم انقطع الله به الكفر لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم هو سيف الله القاطع للكفر والكفرة . وتمنى أن يكون أعداء الله ورسوله بعداء عن الشيخ وعنّا وعن

[85] سورة الكهف الآية: 17 .

[86] سورة الأعراف الآية: 178 .

رحمة الله سبحانه وتعالى ولم ينالوها أبداً. وأحباب الرسول صلى الله عليه وسلم لهم الجنة وما فيها من النعم.

ومن المديح ذكر شمائله وأخلاقه الحميدة ومعجزاته صلى الله عليه وسلم كما أسلف الذكر عنها. فذكرها الشيخ في الأبيات التالية فيقول:

وطباعـه القـرآن تـابع حكمـه

لـم ينحرف أبدا إلى الأهـواء

لـم يقبضن في حقـه إلا إذا

هتك الشريعة لـم يزل بضراء

ذو العدل حـق والسياسة سيد

والأنبياء نوابه الفضــلاء

لم يولدوا حقاً نظير نبينــا

من أول الدنيـا إلى الأخراء

بشرى لعاص إن أتى أبواب من

قاد الورى بسيوفه وعطـاء

وذكر الشيخُ آدم أخلاقه صلى الله عليه وسلم ليوجز عن ذلك بقوله وطباعه القرآن وقد ذكرته عائشة (عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } قُلْتُ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ قَالَتْ لَا تَفْعَلْ أَمَا تَقْرَأُ { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } فَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ) [87] ويعمل بأحكامه ولم ينحرف عنه أبداً أو يتبع هواه صلى الله عليه وسلم.

[87] مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثانية 1420هـ ، 1999م . رقم الحديث: 24601. ج : 41 ص: 148 .

وأنه صلى الله عليه وسلم لا يغضب فيما يمس حقه إلا إذا كان في حق الله تعالى فيظهر غضبه. ذو عدل صلى الله عليه وسلم وحق و سيّد في سياسته,كما قال الفازازي في مديحه المسمى تخميس السائل المتقبلة :(لقد ساس ذاك الخلق لينًا وشدةً)[88]. والأنبياء الفضلاء نوابه أي ينوبون الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ الرسالة وإرشاد الأمة . ولم يولد شبيها له صلى الله عليه وسلم من أوّل الدنيا إلى الآخرة. بشرى لعاص إن أتى أبواب الله وتوسّل به صلى الله عليه وسلم يستغفر الله له. وقد قاد الرسولُ صلى الله عليه وسلم الناسَ لينّا وشدة. بعضهم بمكارم أخلاقه وعطاء والبعض بسيوفه.

ففي قصيدته يحاول عن يشير إلى ما فضّل الله به نبيّه على سائر الخلق من الأخلاق والمعجزات الباهرة. وما يكون من الثواب لمن مدحه ومن ترك ذلك إلى غيره من الناس ماحاً بأسلوب رائع وجميل. فيقول في الأبيات التالية:

خير الأنام سعد الخلائق كلها

رُوح ورَوْح في الدنا ولقاء

من جاهه كنا خيار جماعة

لولاه كنا دونهم فعساء

يا مكثر في مدح غير محمد

قلل بفحشك إن تكن عقلاء

أبناء آدم لم ينالوا خردلة

من فضله حتى جنود السماء

فانظر جمادات أطاعوا أمره

[88] تخميس الوسائل المتقبلة

شجـرا وحجـرا والحصا إجماء

يسمع بتسبيح الطعـام بكفـه

والأسد كلمـه كـذا ظبيـاء

محمد هو خير الأنام وسعد الخلق كلها وروح الخلق, وكلها من أسمائه صلى الله عليه وسلم. وروح في الدنيا والآخرة لأنه الهادي إلى الصراط المستقيم كما شهد الله بذلك في القرآن في قوله { ...وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }[89] واختارنا الله خير أمة من جاهه صلى الله عليه وسلم وقال تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...}[90] لولم نكن من أمته لما كنا خير أمة. ومن يكثر في مدح غير النبي صلى الله عليه وسلم فقلّل إن كنت عاقلا ولا تكثر فيه, فهو فحش لا لأنه فاحشة من الكبائر لكنه ضياءا للوقت والترك أولى. ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فضائل جمّة حتى لو جمعت فضائل بني آدم من أولها إلى آخرها لم تبلغ زنة خردلة من فضائله, حتى الملائكة وهي جنود السماء. ولا يعلم عددها إلا الله يقول الله تعال {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}[91]. ولتعرف ما للرسول صلى الله عليه وسلم من المعجزات فقد أطاعوه الجمادات منها الشجر والحجر والحصاة جميعا. ويسمع تسبيح الطعام بكفّه حين يأكله وكلّمه الأسد والظباء.

ختم قصيدته كما تعوّد بالدعاء والتوسل وذكر اسم الناظم في الأبيات التالية.

هـا متعق يـا ربنا ذا مضطـر

جـان أتى مـن بابـه جرمـاء

---

[89] سورة الشورى. الآية :52 .

[90] سورة آل عمران.الآية: 110 .

[91] سورة المدثر الآية: 31.

يـدعى بـآدم ذي الجـاية مفلس

وبجاه خيـر المرسلين لجـاء

فـأغث عبيدك يـا إلـهي في الدنـا

يـوم القيامـة ءامنا الأسواء

خـذ أيـدنا يا خير من خلق الإله

يـا رب العلميـن معطـاء

بعتيـق وعمر ثم عثمـان الشهيـد

وعلـيّ زوج لفـاطمة زهراء

بيت العتيق وحفصـة وخديجـة

ثم البواقـي المكـرمات نسـاء

وبسائـر الأصحاب أحمـد مرتضى

ثم الذراء من حـواء عبـاء

وبشيخنا التجاني أحمـد ذي العلى

شيـخ الشيـوخ وسيد أولاء

يقول الناظم تضرعا لله تعالى هذا عبدك ذا عتق ومضطر إلى رحمة الله تعالى أتى باب الله وهو مجرم. وهذا المضطر المجرم يدعى بآدم ذي الجاية مفلس لما ارتكب من المعاصي. واعتصمت بجاه خير المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم أن تغيث عبيدك يا إلهي في الدنيا والآخرة ويكون ءامنا من كل سوء . وخذ بأيدينا يا رسول الله يا خير خلق الله يا رب العالمين يا معطي.هذا كما يقول الشيخ الناصر الكبري في أحد قصائده ـ التوسّل بالنبي وأصحابه ـ (يا رسول الله خذ بيدي وتداركني وأنت أبي). وأتوسّل بالعتيق وهو

أبوبكر الصديق وعمر الفاروق ثم عثمان الشهيد الذي قُتِلَ شهيداً وعليٍّ زوج لفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وببيت العتيق وهي الكعبة المشرف, وزوج النبي حفصة وخديجة ثم باقيّة نساء النبي صلى الله عليه وسلم المكرمات. وتوسّل بجميع أصحاب النبي المرتضى وبقية ذرية حواء الذين حملوا أعباء في تأييد كلمة الله تعالى. وبالشيخ أحمد التيجاني ذي العلا وسيد الأولياء .

تمت بحمد الله نظم قصيدتي

ثم الصتلاة على بني طهراء

والآل والصحب الكرام وتابع

من ذاك حتى يومنا ولقاء

واغفر لنا ولوالدي وشيخنا

وجماعة الإسلام ثم نجباء

واختم لنا بالخير عند وفاتنا

وفضائل الدنيا وصرف بلاء

يقول تم نظم قصيدتي بالحمد لله رب العالمين كما بدأت به, ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من بني طاهر الأصل . وعلى آله وأصحابه الكرام وتابعيهم ومن تبعهم إلى يوم القيامة. واغفر لنا ولوالديّ وشيخنا أحمد التيجاني وجميع أمة الإسلام والنجباء أي القباء الذين يحفظون أوامر الله تعالى. واختم لنا يا الله بالخير عند وفاتنا وارزقنا جميع فضائل الدنيا. واصرف عنا جميع البلاء.

التحليل الأدبي للقصائد:

مقدمة: بناء قصائد الشيخ آدم ثندو المديحية:

لم يقلد الشيخ الشعر في الطريقة المعروفة من افتتاح القصيدة بوصف الناقة والتشبيب والوقوف على الأطلال, بل كان يبدأ كل قصيدة بالحمد والثناء على الله, ثم الصلاة والتسليم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يلمس ذلك في الأبيات الثلاثة التي استهل بها الشاعر في القصيدة الأولى فتح الرحمن التي يقول:

الحمد لله الـذي يعطي الفضـل

والجـود والإحسـان والنعمـان

يـا قادم الجـود كذا الإحسـان

صـل على الهـادي بني عدنـان

وبـآله أصحابـه متتابــع

في مـدة الأيـام والأزمــان

وثلاثة أبيات أيضاً التي استهل بها القصيدة الثانية فيض الإلهي في قوله:

نـعرض بهذا كي نذاكر سيـدي

خيـر الخيـار واصل كل سعـادة

لولاه أحمـد ما خلـق الـورى

بصـلاته طـاب الميـاه أو ثمـرة

أصـل الوجـود وخير خلق كلهم

لا مثلـه في ذا الـدنا وقيامـة

وفي البيتين الذين استهل بهما القصيدة الثالثة الهمزية وهي:

الحمـد للـه كثيـر العطـاء

ذي العـرش باقي ذي العلـى وقضـاء

ثم الصلاة علـى الرسول الساقـي

والآل والصحب الكـرام النجبـاء

موضوع القصائد:

أما الغرض الرئيسي الذي تناوله الشيخ آدم عبد الرحمن ثندو في قصائده هو مديح الرسول صلى الله عليه وسلم, ثم لمس بعض الموضوعات الجانبية. ذكر صفاته وشمائله وأخلاقه ومعجزاته. ثم التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم, وأصحابه, وأزواجه, وبالشيوخ والصالحين ثم النصيحة بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

ففي القصيدة الأولى فتح الرحمن مثلا من البيت الرابع الذي بعد المقدمة يقول في هذا البيت:

يا سيد الثقلين أنت وسيلنا

في نبل ما نرجوه للرحمن

بدأ يتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى يقول (يا خير مخلوق)

و (خير الورى) و(يا سيد الكونين) و (يا أقرب الرسل) كل هذا توسلا بالرسول صلى الله عليه وسلم.

أما توسله بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين ذلك مثالا في البيت الثلاثين من القصيدة الأولى حيث يقول:

بخديجـة الكبرى كـذا بنسلـها

زوج علي وعنـدها حسنـان

يـا ثاني الغـار خليفـة بعـده

يـا عمر عثمـان يـا رضوان

جئنـاكم وسـلا إلى خير الورى

وصـل لنـا بالله للعدنـان

وتوسّله بالشيوخ والصالحين كالشيخ أحمد التيجاني من نفس القصيدة في البيت السادس والثلاثين حيث يقول:

وأعـط لنا سعـدا بيوم وفاتنـا

وأكثـر لنـا الأرزاق بالتيجـان

وفي البيت الأربعين يقول:

يـا بـاسط الجود عظيم بالعطـا

ابسـط لنـا الأرزاق بالتيجان

و في البيت الرابع والسبعين يقول:

يـا شيخنـا التيجاني أنت وسيلنـا

وصـل إلى جدي بني عدنـان

ومن النصائح في قصائد الشيخ آدم ثندو, قوله في البيت الرابع من القصيدة الثانية:

يـا صاحبي أصـغ إليّ مسـامع

تسمـع مقالـة ناصح لا فخرة

ومن النصيحة ما جاء في البيت السابع من القصيدة الثانية في قوله:

مـدح نبيك يـا أخيّ فـإنـه

فـرض عليك مـؤكد لا سنـة

وكذلك في البيت الثالث من القصيدة الثالثة بعد المقدمة بدأ بالنصيحة حيث يقول:

فـأطع نبيك يـا صديقي إن ترد

تلقـى إلهك ءامنـا برضـاء

الخاتمة:

لم يختلف الشاعر عما تعوّد عليه شعراء عصره في خاتمة قصائدهم. يختمون قصائدهم بالحمد والشكر لله تعالى ويذكر الناظم اسمه وعدد الأبيات والتاريخ وحتى مكان النظم غالباً.

ففي القصيدة الأولى ختم الشيخ قصيدته بثلاثة أبيات الأخيرة, وذلك في قوله:

بحمـد الله بـدأ نظمـنا

في يـومي الأحـد وفي صفران

في عـام ألف وثـلاثة مـأة

سـت وستون وفي فـرلان

حسابها عشرون تـابع مـأة

فـاقبل لنا ربي بـذي الرضوان

فحمد الله وذكر تاريخ القصيدة وعدد الأبيات والقرية التي نظم القصيدة فيها ثم دعا بالقبول والرضى من الله تعالى.

أما القصيدة الثانية ختمها الشاعر في البيتين التاليين التي يقول فيها:

وحساب نظمي جاء فرح فاحسبي

تلقاه حتما لم يكن بنقيصة

واغفر لنا والمسلمين إلهنا

واختم لنا بالخير عند ختامة

ورمز بعدد الأبيات في قوله (جاء فرح) مأتان وواحد وعشرين بيتا على ما يسمى بالحساب الجمل, وهذا الرمز كان الشعراء يذكرون عدد أبيات قصائدهم. وقد استخدم العرب منذ الجاهلية إلى صدر العصر العباسي طريقتين للعدّ الحسابي، فكانوا إذا أرادوا أن يسجلوا عددًا في البيع والشراء مثل: (950 دينارًا) دوّنوه كتابة بالحروف هكذا :تسعمائة وخمسون دينارًا، أو سجَّلوه بحساب الجمّل هكذا: ظن؛ لأن قيمة الظاء (900) وقيمة النون (50). ثمَّ انتشر استخدام هذه الطريقة في العصور المتأخرة، خاصة في العصر المملوكي في ما عرف بالتاريخ الشعري الذي ظل معروفًا مستخدمًا إلى زمان قريب. والتاريخ الشعري يقوم على إيراد الحدث المؤرخ له ضمن بيت من الشعر أو قِسْم منه، ويكون غالبًا بعد كلمة أرِّخ أو أحد مشتقاتها، ومثاله قول أحدهم يذكر تاريخ طبع كتاب المخصَّص في اللغة لابن سِيْدَه في سنة 1321 هـ :

أقول لما انتهى طبعا أؤرخه

جاء المخصص يروي أحسن الكلم

وبجمع قِيَم حروف الشطر الثاني من البيت ـ وهو القِسْم الواقع بعد كلمة أؤرخه ـ نحصل على التاريخ المطلوب، فكلمة (جاء) قيمة حروفها (4)، والهمزة لاقيمة لها، وكلمة (المخصص) قيمتها (851 (وكلمة (يروي) قيمتها (226) وكلمة (أحسن) قيمتها (119)

و(الكلم) قيمتها (121) فيكون المجموع 4 + 851 + 226 + 119 = 1321 وهو التاريخ الذي تمَّ فيه طبع الكتاب.

وتتميز هذه الطريقة بالاختصار وجمع الأعداد الكثيرة في كلمة واحدة أو كلمات، وهذا ما جعحساب الجمّل سهل الاستخدام في نَظْم العلوم والمعارف وتاريخ الأحداث. كما يمكن أن يكون نوعًا من التَّعْمية أو التَّشْفير بتحليل الأعداد المعطاة إلى مجموعة حروف مكونة بذلك لُغْزًا أو شفرة.[92]

وأما فن المديح فهو باب من أبواب هذه القصيدة التي سماها فيض الإلهي وقال: باب في مدح خير الخلائق أجمعين. وذكر الأبيات.

أما الخاتمة في القصيدة الثالثة فإنه أطال فيها. من البيت الثامن والخمسين إلى نهاية القصيدة من قوله:

هـا متعق يا ربنا ذا مضطـر

جان أتى من بابه جرمـاء

يدعى بآدم ذي الجاية مفلس

وبجاه خير المرسلين لجـاء

ختمها بالدعاء وتوسّل بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأزواجه وبالشيخ أحمد التيجاني. ولم يذكر فيها عدد أبياتها أو التاريخ.

[92] الموسوعة العربية العالمية / دائرة المعارف العالمية. د/أحمد الشويخات. رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير. WORLD BOOK INTERNATIONAL.WWW.HNTAAJ.NET

الفصل الرابع: دراسة فنية لقصائد الشيخ آدم ابن عبد الرحمن ثِنْدُو

أما الظواهر الفنية فقد أودع الناظم في أبياته ألوانا من الأساليب البلاغية الرائعة, وخصوصا ما يتعلق بالبيان والمعاني والبديع.

أما مفهوم علم البيان فهو العلم الذي يعرف به إيراد معنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.[93]

أما المعاني فهو العلم الذي يبحث في بناء الجمل وتنسيق أجزائها تنسيقا يطابق مقتضى حال الكلام.[94]

وعرفه القز ويني بأنه أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال.[95]

مفهوم البديع هوعلم يعرف به وجوه تحسين الكلام, بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال, ووضوح الدلالة.[96]

---

[93] بسيوني: علم البيان ص: 10

[94] بسيوني: علم البيان ص:11

[95] القزويني, التلخيص,ص: 86

[96] الدكتور عبد الله محمد النقراط, الشامل في اللغة العرابية.

وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى تحسين اللفظ, وضرب يرجع إلى تحسين المعنى. فمن محسنات اللفظية: الجناس. والإقتباس. والوصل والفصل. والسجع.
ومن المحسنات اللفظية: الجناس. الإقتباس. السجع. التصحيف. الإزدواج. الموازنة. التصريع. التشريع. لزوم ما لا يلزم. التلميح.
ومن المحسنات المعنوية: التورية. الطباق. المقبلة.حسن التعليل. تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه. أسلوب الحكيم. الإستطراد. مراعاة النظير. الإرصاد. الإدماج.

تحليل الفني للقصيدة الأولى: فتح الرحمن

وجد الباحث من خلال دراسته لهذه القصيدة أن الناظم استخدم في أسلوبه الظواهر الآتية:

ا- **الفصل:**

ومفهوم الفصل عند اللغويين: هو بون ما بين الشيئين, والفصل من الجسد موضع المفصل وبين كل فصلين وصل.وأنشداالليث:

وصلا وفصلا وتجميعا ومفترقا * فتقا ورتقا وتأليفا لإنسان

ويعني أيضا الحاجز بين الشيئين فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل وقطعته فانقطع[97]. وقوله تعالى {هذا يوم الفصل....}[98] ويوم الفصل يوم القيامة, أي يوم يفصل فيه بين المحسن و المسيء, ويجازى كل بعمله. وقوله في التنزيل(إنه لقول فصل)[99].

وأما مفهوم الفصل عند البلاغيين فهو ترك العطف بين جملة وأخرى بالواو, لعدم الترابط بينهما. كقول الشاعر:

عادة الأيام لا أنكرها * فرح تقرنه لي بترح

[97] لسان العرب-ابن منظور الناشر دار صادر – بيروت ص-521

[98] القرآن سورة المرسلات الآية:38

[99] القرآن الكريم سورة الطارق: الآية 13

ومن خلال دراسة الباحث لقصائد الشيخ آدم وجد أنه استخدم هذا النوع من الأسلوب في ثلاث مواضع في البيت الرابع, والسادس, والسابع من القصيدة الأولى. ومن ذلك قوله في البيتين السادس والسابع من القصيدة الأولى:

1- يـا سيد الثقلـين أنت وسيلنا

في نيـل ما نرجوه للرحمـن

في البيت الرابع صدره نداء جملة إنشائية, وعجزه جملة خبرية, ولم يربط بينهما شيء.

2- يـا خير مخلوق ويـا خيـر الورى

جئنـاك تشفيعـا فخـذ بيـدان

فصدر البيت يختلف تمام الإختلاف عن عجز البيت,إن الجملة في صدر البيت جملة إنشائية, والجملة في عجز البيت خبرية, فلا رابط بين الجملتين.

والبيت السابع من نفس القصيدة حيث قال:

3- يـا سيـد الكونين أنت ملاذنـا

في هـذه الدنيـا ويوم الديـان

فقوله (ياسيد الكونين) جملة إنشائية. والجملة الثانية خبرية في قوله (أنت ملاذنا.....) ولا علاقة بينهما لذلك ما عطف بين الجملتين الواو.

(2) **الوصل:**

ومفهوم الوصل لغة: وصلت الشيء وصلا وصلة. والوصل ضد الهجران. قال ابن سيده- الوصل خلاف الفصل. وصل الشيء بالشيء يصله وصلا وصِلة وصُلة.

وفي القرآن الكريم {ولقد وصلنا لهم القول...}[100] أي وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض لعلهم يعتبرون.

وقول أعرابي:

نحير وأعناق المطي كأنها * مدافع ثقبان أضرّ بها الوصل

معناه أضرّ بها فقدان الوصل وذلك أن ينقطع الثغب, فلا يجري ولا يتصل.

ووصل بمعنى اتصل أي دعا دعوى الجاهلية. وهو أن يقول يأل فلان. وفي التنزيل العزيز{إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق}[101]أي يتصلون المعنى اقتلوهم ولا تتخذوا منهم أولياء إلا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق واعتزوا إليهم. قال الأزهري الاتصال أيضا الاعتزاء المنهي عنه.[102]

ومفهوم الوصل عند علماء المعاني عطف جملة على أخرى (بالواو) فقط من دون سائر حروف العطف الأخرى[103] كقول المتنبي:

أعز مكان الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

ويقول الدكتور بسيوني: الوصل معناه العطف, عطف الكلام بعضه على بعض ,سواء أكان هذا العطف للمفردات أم للجمل, وسواء أكان بالواو أم بغيرها كالفاء وثم و"أو".[104]

---

[100] القرآن الكريم سورة القصص الآية- 51

[101] القرآن الكريم سورة النساء الآية- 90

[102] لسان العرب : مادة (وصل), ج-11, ص: 726.

[103] الدكتور عبد العزيز عتيق. علم المعاني . ص:124

[104] الدكتور بسيوني علم المعاني. مؤسسة المختار , ص: 345.

فالوصل هو عطف جملة على أخرى بالواو لعلاقة بينهما. فإذا أتى الناظم بجملتين وكان بينهما علاقة فعطف بينهما بالواو فهذا ما يعد وصلا.
والباحث وجد أن الشيخ استخدم هذه الظاهرة في قصائده[105].ففي البيت السادس من القصيدة الأولى حيث قال:

يـا خيـر مخلوق ويـا خيـر الورى

جئنـاك تشفيعـا فخـذ بيـدان

ففي صدر البيت جاء بجملتين إنشائية وعطف بينهما بالواو.فقوله (ياخير مخلوق)هذه جملة إنشائية,والجملة المعطوفة أيضا إنشائية قوله (يا خير الورى) فكونهما إنشائيتين هو ما أدى إلى وجود الوصل.
في أماكن كثيرة في قصائده.
والبيت السادس والثلاثون من نفس القصيدة:

واعـط لنا سعـدا بيوم وفاتنـا

وأكثـر لنـا الأرزاق بالتجـاني

ففي صدر البيت وعجز البيت علاقة لأن كلا الجملتين إنشائيتان
والبيت السابع والثلاثون في قوله:

وسع لنـا قبـرا بيـوم نزولـه

واجعلـه روضـا بالنعيم دنـان

الأسلوب الإنشائي في النداء:

وأما من ناحية الأسلوب فإن الناظم استخدم الأسلوب الإنشائي في النداء في أماكن كثيرة.

[105] في خمسة مواضع من القصيدة الأولى .

والنداء هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل (أدعو)[106].
وأحرف النداء على نوعين, نوع لنداء القريب, ونوع لنداء البعيد. ينادي ب(الهمزة)و(أي) لنداء القريب. و(يا), و(أيا), و(هيا), و(آ), و(آي), و(وا).

وعرفه البسيوني بقوله: (هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب كلمة: "أدعو", والغاية منه أن يصغى من تناديه إلى أمر ذي بال,ولذا غلب أن يلي النداء أمر أو نهي أو استفهام أو إخبار بحكم شرعي)[107] كقوله تعالى:

{يا أيها المدثر. قم فأنظر . وربك فكبّر. وثيابك فطهر}[108]

وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادي بغير الهمزة وأي إشارة إلى علو مرتبته, وارتفاع شأنه أو انحطاط منزلته أو غفلته وشرود شأنه:[109]

فمن أمثلة تنزيل القريب منزلة البعيد, قول الشاعر:

يا من يرجى للشدائد كلها * يا من إليه المشتكى والمفزع
يا رجاء العيون في ملئ أرض * لم يكن غير أن أراك رجائي
أيا آخذا من دهره حق نفسه * ومثلك يعطي حق وي
يا ربة الحسن: هل لي فيك من أمل؟ إني هجرت وكل الناس عاداني

وجد أن الشيخ آدم ثندو استخدم هذا النوع من الأسلوب في أماكن كثيرة في قصائده. فعلى سبيل المثال:

البيت الثاني من القصيدة الأولى فتح الرحمن:

يـا قادم الجـود كـذا الإحسـان
صـل على الهـادي بني عدنـان

---

[106] الدكتور عبد العزيز عتيق . المرجع السابق, ص: 91.

[107] الدكتور بسيوني. علم المعاني. ص: 329.

[108] القرآن : المدثر الآية 1-4

[109] د\ عبد العزيز عتيق. المرجع السابق , ص: 92.

ففي هذا البيت يدعو الله سبحانه وتعالى أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم. فاستعمل الياء دون الهمزة أو أي , مع أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز:{.....ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}[110]

جاء بهذا الأسلوب لعلو وشأنه ومنزلته سبحانه وتعالى.

والبيت السادس من نفس القصيدة قوله:

يـا خير مخلوق ويـا خـير الورى
جئنـاك تشفيعـا فخـذ بيـدان

وقي البيت الثاني عشر من نفس القصيدة:

يا رب يا ذا العرش يا رب الـورى
صـل وسلم للنبي عـدنـان

وكذلك في البيت السابع والعشرون أيضا حيث قال:

يـا مـن إليه يجيء كـل بحاجة
فينـال مـا يهواه غير تـوان

التلميح

ومن الأساليب البديعية التي استخدم الناظم ما يسمى بالتلميح.

وهومن مصدر لَمَحَ يلمح, وهو مأخوذ من مادة (لَمَحَ) بتخفيف العين,"فَعَلَ" معناه اختلس, ونظر بسرعة,[111]ومنه قولك: "ألمحت المرأة من وجهها"إذا أمكنت من أن يلمح.[112]ومثل "ألمح" "لَمَّحَ"بتشديد العين, فيقال لمح يلمح تلميحا,كبصّر تبصيرا وزنا ومعنا,لأن "فَعَّلَ"مشدد العين قد يشترك مع "أفعل" في تصيير الفعل اللازم إلى المتعدي.[113] منه قوله تعالى{ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر}[114].

---

[110] سورة ق الآية: 16.

[111] لسان العرب, مادة (لمح), ج:2 ص:584.

[112] نفس المرجع, مادة (لمح), ج:2 ص:584.

[113] الحملاوي, شذا العرف في فن الصرف, شرح د/ محمد أجمد قاسم- المكتبة العصرية, 1430هـ |2009م, ص: 50.

[114] القرآن: سورة القمر الآية: 50

أما مفهوم التلميح عند البلاغيين: فقد عرّفه زمن الدين الجرجاني بأنه:" أن يشير الشاعر في نظمه إلى قصة من غير ذكرها"[115]

وأما الدكتور بسيوني ـ وهو من المعاصرين ـ فقد توسع في تعريف التلميح وجعله يشمل الشعر والنثر فقال: هو "أن يشير الشاعر أو الناثر إلى قصة أو مَثَل أو شعر دون أن يورد لفظه"[116]

ومثال التلميح قول الشاعر:

لئن أصبحت مرتحلا بشخصي * فروحي عندكم أبدا مقيم

ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

يقول الشاعر إنه وإن فارق الممدوح جسماً فلا يفارقه روحاً إلى الأبد. وقال ـ وإن كان معهم روحيا ـ وكان عليه أن يكون معهم لما يجده من الكرم والشرف والتمتع بالنظر إليهم, فألمح إلى قصة موسى عليه السلام مع ربه جلا شأنه, حيث قال:(...رب أرني أنظر إليك....).[117]

ومن خلال دراسة الباحث للقصائد وضع يده على نماذج من هذه الظاهرة في قصائد الشيخ آدم, منها خمسمة في القصيدة الأولى فتح الرحمن. في البيت التاسع, والخامس عشرة, والسادس عشرة, والواحد والثلاثين, والرابع والثلاثين.

وعلى سبيل المثال في القصيدة الأولى:

قوله في البيت الخامس عشرة من القصيدة الأولى حيث قال:

يا من أدرّ لبن شاة لمعبد

---

[115] محمد الجرجاني,المرجع السابق,ص:201.

[116] بسيوني , المرجع السابق ص: 229.

[117] سورة الأعراف الآية:143.

بعـد مضـي مـدا مـن الأزمـان

ألمح الشيخ في هذا البيت إلى معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم التي حدثت على طريقه إلى المدينة,وقد أثبت ذلك علماء السيرة, وهي على الطريق مروا بأم معبد الخزاعية[118] وهي لا تعرفه فقال لها: (يا أم معبد هل لك من لبن)؟ قالت لا والله إن الغنم لعازبة. قال: (فما هذه الشاة التي أرى) لشاة رآها في كفاء البيت قالت: شاة خلفها الجهد من الغنم. قال (أتأذنين من حلابها) قالت: لا والله ما ضربها فحل قط فشأنك بها. فمسح ظهرها وضرعها ثم دعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه فملأه فسقى أصحابه عللا بعد نهل ثم حلب فيه آخر فغادره عندها وارتحلوا.[119]

وكذلك في البيت السادس عشرة من هذه القصيدة الأولى:

يـا مـن تكلم ظبية برسـالة

وشكى البعيـر إرادة النحـران

ويشير هنا إلى معجزة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لظبية صادها أعرابي فشكت أمرها إليه صلى الله عليه وسلم. وثبت ذلك,عن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك ؟ قلت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع.

قال:(أو تفعلين)؟ قالت نعم فأطلقها وذهبت ورجعت, فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله ألك حاجة؟ قال (تطلق هذه الظبية)

[118] اسمها عاتكة الكعبية بنت خالد بن منقذ ابن ربيعة الخزاعية.

[119] الرحيق المختوم _ في الطريق إلى المدينة _ج 1 ص:123

فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.[120]

والبيت الواحد والثلاثون من القصيدة الأولى في قوله:

يـا ثاني الغـار خليفة بعـده

يـا عمر عثمـان يـا رضـوان

ألمح الشيخ في هذا البيت مصاحبة أبي بكر للرسول صلى الله عليه وسلم.وإن القرآن ذكر أبا بكر تلميحا.يقول الله تبارك وتعالى:{ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا. فأنزل سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم}[121].

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار فاعرفوا له ذلك, فلو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر)[122] أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند والديلمي وغيرهما.

وكمُنا في الغار ثلاث ليال, الليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد. وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت عندهما بسحر . فيصبح مع قريش جملة كبائت فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.[123]

وفي البيت الرابع والثلاثين من القصيدة الأولى يقول:

يـا مـن توسّل آدم مـن أكلـه

---

[120] الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج- 1 ص 314

[121] سورة التوبة :الآية 40

[122] الروض الأنيف في فضل الصديق- للسيوطي – الحديث الرابع عشر ج-1 ص: 1.

[123] الرحيق المختوم- ج 1 ص: 131

شجـرا فتـاب وتيب بالغفـران

فألمح الشيخ هنا عن القصة التي حدثت بين نبي الله آدم والشيطان وأكله الشجرة. وقد قص الله ذلك في القرآن في قوله تعالى: { فوسوس إليه الشيطان قال هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. فأكلا منها وبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة. وعصى آدم ربه فغوى }[124] فوسوس الشيطان لآدم وقال له: هل أدلك على شجرة، إن أكلت منها خُلِّدتَ فلم تمت، وملكت مُلْكًا لا ينقضي ولا ينقطع؟

الطباق:

مفهوم الطباق عند اللغويين:
الطباق,ويقال له المطابقة, والتضاد,ومجاورة الأضداد.[125]

ويدل على "المساواة..." كما جاء في لسان العرب:..."وقوله وليلة ذات جهام أطباق معناه أن بعضه طبق لبعض, أي مساو له...وقد طابقه مطابقة وطباق. وتطابق الشيئان تساويا, والمطابقة: الموافقة".[126] ومنه قوله تعالى:{الذي خلق سبع سماوات طباقا}[127]

أما تسمية الطباق بالتضاد ومجاورة الأضداد لغويا, فلأن أصل التضاد التقابل بين المعنيين إما بالضدية,مثل النور والظلام,أو بالتناقض مثل الموت والحياة. ولقول العرب طابق البعير إذا وضع رجله موضع يده في المشي.فاليد والرجل ضدان أو في معنى الضدين.[128]

---

[124] القرآن سورة طه, الآية: 121.

[125] أحمد محمد علي, دراسات في علم البديع,مطبعة الأمانة (ط/1,1406هـ)ص:10.

[126] ابن منظور,لسان العرب,109/10(مادة طب).

[127] سورة الملك:الآية:2

[128] زكي الدين بن أبي الأصبع المصري,تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن, بتحقيق الدكتور حفني محمد شرف,لجنة إحياء التراث الإسلامي ,القاهرة 1416هـ - 1995م.

ومفهوم الطباق عند البلاغيين فقد عرفه عبد القادر الجرجاني بأنه: الجمع بين الشيء وضده,حيث يقول:"وأما التطبيق :فأمره أبين ,وكونه معنويا أجلى وأظهر, فهو مقابلة الشيء بضده" [129].

أما الخطيب القزويني فيقول: إن الطباق هو "الجمع بين متضادين ,أي معنيين متقابلين في الجملة." [130]

ويرى أحمد الهاشمي ـ وهو من المحدثين ـ أن الطباق "هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى". [131]

ومثال ذلك:قوله جل وعلى:{وتحسبهم أيقاظا وهم رقود}[132] وسواء أكاذبان الشيئان متفقين في الاسمية, بأن يكونا اسمين,كما في هذه الآية. أو في الفعلية بأن كل منهما فعلا كما في قوله تعالى:{وأنه هو أضحك وأبكى}[133] أو في الحرفين كما قال جل شأنه:

{لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت}[134] إذ إن الحرف "على" يوحي بمعنى الشر,واللام يوحي بمعنى الخير, وقول الشاعر[135]:

فليتكم لم تعرفوني وليتكم * تخيلت عنكم لا عليّ ولا ليا

وهو نوعان: إيجابي, وسلبي: والطباقالإيجابي, هو مالم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا.كقوله تعالى:{وتحسبهم أيقاظا وهم رقود}.[136]

---

[129] عبد القادر الجرجاني,أسرار البلاغة, بتعليق السيد محمد رشيد رضا والمنار, ص:15.

[131] ابن الأثير,المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر,(النسخة الإلكترونية),موقع الوراق,ج/1, 1418هـ - 1998م,

[132] سورة الكهف الآية: 18.

[133] سورة النجم الآية : 43.

[134] سورة البقرة الآية: 286.

[135] مجنون ليلى .(الإشارات والتنبيهات,ص:207وما بعدها,في الهامش رقم:3)

[136] سورة الكهف الآية: 18.

والطباق السلبي, هو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا, كقوله تعالى:

{يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله}[137]. ففي هذه الآية فعلين من مادة واحدة, الأول إيجابي والثاني سلبي, وباختلافهم إيجابا وسلبا صارا ضدين.

ومن خلال دراسة الباحث وجد على أن الشيخ استخدم هذه الظاهرة في القصيدة الأولى سبعة مرات. في البيت السابع, والثاني والعشرين, والربع والعشرين, والخامس والعشرين , والخامس والخمسين, والسابع والتسعين, وثلاثة بعد المائة.

ونماذج منها: البيت الرابع والعشرين من القصيدة الأولى حيث قال:

جئنـا إلى خيـر الذي يعطى بـه

مـن كـل خير في دنـا أخـران

ففي صدر البيت جمع بين كلمة وضدها وهما "دُنا" و "أُخران", الدُنا يعني به الدنيا وأُخران يعني به الآخرة, فالدنيا والآخرة ضدان.

وكذلك الأمر في البيت الخامس والعشرين من هذه القصيدة في قوله:

يـا خيـر آت بعـده أو مـن مضـى

هيهـات لم يوجـد مثـال ثـان

فهنا في عجز البيت يكون الطباق في كلمتي "آت" و "مضى" فالأولى ضد الثانية.

[137] سورة الناس الآية: 108.

مراعاة النظيرأو المناسبة:

سمى بأسماء عدة, منها التناسب والائتلاف والتوفيق والتلفيق والمؤاخاة[138].

مفهومه في اللغة:

النظير في اللغة هو:المثل.ومنه قول الشاعر:[139]

إذا استحلى أخوك قلاك يوما * فمثل أخيك موجود النظير

وأما مفهومه عند البلاغيين فله تعريفات عديدة عند هم. ومن هذه التعريفات

عرفه القزويني بقوله:"هو أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد".[140]

وقال السكاكي: هو عبارة عن" الجمع بين المشتبهات"

ويعرفه الدكتور بسيوني بأنه:" الجمع بين أمر متناسبين أو أمور متناسبة بغير تضاد".[141]

أما الدكتور عبد العزيز يرى أنه: " أن يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه لا بالتضاد لتخرج المطابقة".[142]

و مثاله قوله تعالى: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}[143] ، وقول بعضهم للمهلبي الوزير: "أنت أيها الوزير إسماعيلي الوعد، شُعَيْبِي التوفيق، يوسفي العفو، محمدي الخُلُق"[144]. والتناسب بين إسماعيل

---

[138] القزويني,التلخيص, ص:88 والإيضاح,ص:355,علي نايف الشحود,الخلاصة في علوم البلاغة,ج 1 ص:64 وعبد العزيز عتيق,المرجع السابق, ص:138.

[139] محمد بن مكرم, لسان العرب, (مادة نظر), ج:5 ص: 215.

[140]القزويني, الإيضاح, ص: 355. والتلخيص, ص: 88.

[141] بسيوني المرجع السابق, ص:130

[142] عبد العزيز عتيق المرجع السابق, ص: 138.

[143] سورة الرحمن: الآية : 5

[144] الصعيدي , عبد المتعال, المرجع السابق , ج-1- ص:406.

وشعيب ومحمد؛ لأنهم أنبياء، وبين الوعد والتوفيق والعفو والخلق؛ لأنها أخلاق.

وقول أسيد بن عنقاء الفزاري:

كأن الثريا علقت في جبينه وفي خده الشعرى وفي وجهه البدر

ويُلْحقُ بمراعاةِ النظيرِ، ما بُنيَ على المناسبةِ في المعنَى بين طرفي الكلامِ ، يعني أنْ يختَمَ الكلامُ بما يناسبُ أوَّلهَ في المعنَى، نحو قوله تعالى: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[145]. فإنَّ اللطيفَ يناسبُ عدمَ إدراكِ الأبصارِ له، والخبيرَ يناسبُ إدراكَهُ سبحانه وتعالى للأبصارِ.

وما بُنيَ على المناسبةِ في اللفظِ باعتبارِ معنًى له غيرَ المعنَى المقصودِ في العبارةِ، نحو قوله تعالى:{ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ }[146]

فإنَّ المرادَ بالنَّجمِ هنا النباتُ، فلا يناسبُ الشَّمسَ والقمرَ ولكنَّ لفظَهُ يناسبهُما باعتبارِ دَلالته على الكواكبِ; وهذا يقال له: إيهامُ التناسبِ

ومن أحسن ما ورد في مراعاة النظير قول ابن خفاجة يصف فرسا

وأشْقَر تضرم منْهُ الوَغى * بشُعْلةٍ مِنْ شُعِل البَاس

منْ جلّنار ناضر خدُّهُ * وأذنُهُ مِنْ وَرَق الآس

تَطّلُعُ للغرّةِ في وَجهِهِ * حبَابة تَضحكُ في الكاس

فالمناسبةُ هنا بين الجلنار والآس والنضارةِ.

و منه قولُ ابن رشيق:

أصحُّ وأقوى ما سمعناهُ في النَّدى * منَ الخبرِ المأثورِ منذُ قديمِ

أحاديثَ ترويها السيولُ عن الحيا * عن البحرِ عنْ كفِّ الأمير تميمِ

فإنهُ ناسبَ فيه بين الصحَّةِ والقوَّةِ والسَّماعِ والخبرِ المأثورِ والأحاديثَ والروايةِ، ثمَّ بينَ السيلِ والحيا والبحرِ وكفِّ تميم، مع ما في البيت الثاني منْ صحةِ الترتيبِ في العنعنةِ، إذ جعلَ الرواية لصاغرٍ عنْ كابرٍ، كما يقعُ في سندِ الأحاديثَ، فإنَّ السيولَ أصلُها

---

[145] سورة الأنعام الآية:103

[146] سورة الرحمن: الآية : 5-7.

المطرُ، والمطرُ أصلُه البحرُ على ما يقالُ، ولهذا جعلَ كفَّ الممدوح أصلاً للبحرِ مبالغةً.[147]

ومن خلال دراسة الباحث لقصائد الشيخ آدم وجد أن الشاعر استخدم هذه الظاهرة في خمسة في القصيدة الأولى, وفي البيت الأول, والثاني, والاثنين والستين, والثالث والستين, والخامس والسبعين.

(1) الحمد لله الذي يعطي الفضل * والجود والإحسان والنعمان

(2) يا قادم الجود كذا الإحسان * صل على الهادي بني عدنان

(62) فضّل لنا في هذه أرزاقنا * يا مولي النعمات والإحسـان

(63) واكشف بنا غما وحزنا في الدنا * والخزي يوم اللقاء يا ديـان

(75) وسع لنا عمرا حياة ربنــا * بالجود والإحسان يا منــان

تحليل قصيدة الثانية: فيض الإلهي

ظاهرة التشبيه:

[147] علي نايف الشحود. المرجع السابق: ج-1 64

والتشبيه عند اللغويين هو التمثيل, وهو مصدر مشتق من الفعل (شبّه)يقال: شبّهت هذا تشبيها, أي مثّلته به.

وأما مفهوم التشبيه في اصطلاح البلاغيين له أكثر من تعريف, وهذه التعريف وإن اختلفت لفظا فإنها متفقة معنى.

عرفه أبو هلال العسكري بقوله:(التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه, ناب منابه أو لم ينب ,وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه, وذلك قولك:"زيد شديد كالأسد" فهذا القول هو الصواب في العرف وداخل في محمود المبالغة, وإن لم يكن زيد في شدته كالأسد على حقيقته)[148]

ومن خلال دراسة الباحث وجد أنّ الشيخ آدم استخدم هذه الظاهرة البلاغية في قصيدته "فيض الإلهي" في أربعة مواضع.[149]

ففي البيت الرابع والأربعين حيث قال:

ودعاؤه سيف بتار فلم يقف * كالسهم حقا في نفوز رمية

فهذا البيت يحتوي على تشبيهين, الأول منها قوله "ودعاءه سيف بتار" فهنا شبه دعاءه صلى الله عليه وسلم بسيف بتار. فهو تشبيه مفرد مقيد بمفرد مقيد. ثم إنه ذكر المشبه والمشبه به وحذف الأداة ووجه الشبه. والتشبيه إذا ما حذف منه الأداة ووجه الشبه فهو "التشبيه البليغ" وهو أعلى مراتب التشبيه في البلاغة وقوة المبالغة, لما فيه من ادعاء أن المشبه هو عين المشبه به, ولما فيه من الإيجاز الناشئ عن حذف الأداة والوجه معا[150].

---

[148] كتاب الصناعتين ص: 239

[149] في القصيدة الثانية وذلك فالبيت الرابع والأربعين, والبيت الثمانين , والبيت السادس والثمانين, والرابع والثلاثين بعد المائة.

[150] بسيوني: علم البيان ص:80

أما التشبيه الثاني جعل الدعاء أيضا هو المشبه وقال"كالسهم في نفوز رمية" والسهم هو المشبه به والكاف هو أداة الشبه "في نفوز رمية" هو وجه الشبه.

وكذلك الأمر في البيت الرابع والثلاثين بعد المأة حيث قال:

اشرب لنا حوضا بجاه رسولنا * جوز لنا صعب الصراط كلمحة

فشبه مجاوزة الصراط بلمحة البصر في السرعة, مع أنه لم يصرح ذكر وجه الشبه.

وهذا النوع من التشبيه هو ما يسمى بالمجمل. والتشبيه المجمل هو ما حذف منه وجه الشبه, نحو قول الشاعر:

وكأن إيماض السيوف بوارق * وعجاج خيلهم سحاب مظلم[151].

الإستعارة :

أما مفهوم الإستعارة في اللغة هو طلب شيء ما للانتفاع به زمنا مقابل, على أن يرده المستعير إلى المعير عند انتهاء المدة الممنوحة له, او عند الطلب.[152]

ومفهوم الإستعارة الإصطلاح البيانيين هواستعمال لفظ ما في غير وضع له في اصطلاح به التخاطب, لعلاقة المشابهة, مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاح به التخاطب.

أو أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنّه اختص به حين وضع, ثم يستعمله الشاعر في غير ذلك الأصل, وينقله إليه نقلا غير لازم, فيكون هناك كالعارية.[153]

---

[151] الإيماض: اللمعان, والبوارق: جمع بارق وهو البرق, والعجاج: الغبار.

[152] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. ج 1 ص: 636

[153] الجرجاني عبد القاهر ابن عبد الرحمن. أسرار البلاغة ج 1 ص: 10

أو أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يختص المشبه به.[154]

واستخدم هذه الظاهرة في بعض أبياته قوله في البيت الحادي عشرمن القصيدة الثانية فيض الإلهي,

1- روح النفوس وروح خلق كلهم * سعد الإله سعد الخلائق جملـة

الفصل في القصيدة الثانية:

وذلك في البيت الثالث والثلاثين من هذه القصيدة الثانية, فيض الإلهي, قوله:

فدعا الإله برفعه فانظر إلى

وقت الدعاء فسال حولى طيبة

وصدر البيت هنا خبرية, وعجز البيت إنشائية.

وأيضاً في البيت المائة من القصيدة الثانية:

يـا منزل القرآن لأحمد مصطفى

يسر لـنـا أمـر الدنا وقيامـة

الأسلوب الإنشائي في النداء:

والبيتان التسعون , والواحد والتسعون من القصيدة الثانية, قوله:

يـا خـير خلـق الله أحمـد مصطـفى

أنت المكلـم لحـم قـدر مضغـة

يا قاطع الكفـار أنت شفيعـنا

إن جـاءنا الأهـوال يـوم قيامـة

وعند توسله بالشيخ أحمد التيجاني في البيت السبع والسبعين من القصيدة الثانية, في قوله:

[154] السكاكي. مفتاح العلوم ج 1 ص: 163

يـا شيخـنا جئـنا إليك تصلّـني
مـن خـير جدك كـن بأيدي أخـذة

كل ذلك تعظيما لشأن الله ورسوله, والشيخ أحمد التيجاني.

وجعل القريب منزلة البعيد انحطاطا لمنزلته كما كان الأمر في البيت المائة وأربع وثلاثين حيث قال:

يـا شاتمي كـفي شماتـة إن تـكن
أهـل النصيحـة والعقـول كثيـرة

التلميح في القصيدة الثانية

استخدم الشيخ هذه الظاهرةفي القصيدة الثانية فيض الإلهي, وذلك في البيت الخامس عشرة, والسادس عشرة, والعشرين, والواحد والعشرين, والثاني والعشرين, والخامس والخمسين, والسادس والخمسين.

وعلى سبيل المثال ما في البيت العشرين من القصيدة الثانية:

انشق بـدر مـن دعـائك صـار أحمد

ودعـوت شمسا فـارجعن في سرعـة

ويلمح أيضا عن حادثة انشقاق القمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى الترمذي في سننه عن جبير بن مطعم قال: انشق قمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقال بعضهم لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحرنا الناس كلهم.[155]

وألمح إلى ذلك القرآن في قوله تعالى :{ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3) }[156]

ـالطباق في القصيدة الثانية:

[155] أم لم يعرفوا رسولهم ج- 1 ص: 139.

[156] سورة القمر الآية: 1-3.

أما في القصيدة الثانية, استخدم هذه الظاهرة خمسة مواضع, في البيت السادس, والثامن, والثامن عشرة, والتاسع والسبعين, والمائة.

أما في القصيدة الثانية قد استخدم الشيخ آدم هذا الأسلوب في البيت السادس من هذه القصيدة حيث قال:

بثنـائـه تمحى ذنوبك لا مـرى

فتكـون في دار السـلام لا ترحـة

فكلمتا "السلام" و"ترحة" فهما ضدان.

وهكذا في البيت الثامن من هذه القصيدة كذلك حيث قال:

يـا فـوز من يثني عليـه محمـد

في هـذه الـدنيا ويوم ديـانـة

فكلمة " الدنيا" و"يوم الديانة" ضدان .

والبيت الثامن عشرة من القصيدة الثانية أيضا قال:

يـا مـن يود سعـادة في ذا الـدنا

أو يوم أخـرى فاثن خيـر البريـة

يكون الطباق في كلمتي "الدنا" و"أخرى".

ونفس هذان الكلمتان في البيت المائة من هذه القصيدة حيث قال:

يـا منزل القـرآن لأحمـد مصطفى

يسـر لـنا أمر الـدنا وقيامـة

كذلك الأمر في كلمتي "الدنا" و "قيامة"

مراعاة النظير في القصيدة الثانية:

وعلى سبيل المثال البيت السابع من القصيدة الثانية في قوله:

مـدح نبيك يـا أخي فإنـه

فـرض عليك مؤكـد لا سنـة

فيه مراعاة النظير, فإن كلمة فرض ناسبت كلمة سنة, وكلا الكلمتين نوع من الأحكام الشرعية.

والبيت الثامن والأربعين بعد المأة حيث قال:

المـدابـوي ذو البـلادة والجهـل

وكسـالـة وملالـة وغفلـة

وبين البلادة والجهل والكسالة والملل وغفلة تناسب إذ أن جميع هذه الكلمات نوع من السجاية و الأخلاق الإنسانية

تحليل القصيدة الثالثة: الهمزية

الإستعارة

استخدم الشيخ آدم ظاهرة الإستعارة في البيتين من القصيدة الثالثة, وذلك البيت التاسع من هذه القصيدة الهمزية:

2- سيف الإله أرضه خير الملا * ياليت أعداء له بعـداء

وفي البيت الثامن عشرة من القصيدة, في قوله:

3- سيف الإله سل في أعدائه * هزموا جميعا خائفين رحاء.

ففي المثال الأول استعمل كلمة الروح في غير معناها الحقيقي, لأن الروح في الحقيقة هو ما في داخل الكائن الحي ولا يُرَ مع وجوده فيه,ولا حياة لمن لا روح له, وشبّه الرسول صلى الله عليه وسلم به لمشابـهته به في أن الرسول صلى الله

عليه وسلم بـمثابة الروح في هداية النفس, ولا هداية بدونه. وكذلك الروح فلاحياة بدونه.

وكذلك في السعادة للخلائق كلها.

والمثال الثاني استعمل كلمة السيف في غير معناها الأصلي, لأن السيف الحقيقي هو ذلك الحديد الحاد الذي يُقطع به ويُقتل في المعارك, وشبّه الرسول صلى الله عليه وسلم به لعلاقة المشابهة, وهي أنه صلى الله عليه وسلم يقطع الكفرة بالحجج والبراهين كلّما وجه إليهم.

وكذلك الأمر في المثال الثالث.

الأسلوب الإنشائي في النداء:

استعمل الشيخ آدم هذا الأسوب في بعض أبياته من هذه القصيدة الثالثة, ونموذج عن ذلك قوله في البيت الثامن عشرة في قوله :

يا آخر المبعوث أول من أتى * حشر القيامة كن شفاء ضرا

والبيت التاسع والعشرين في قوله:

يا أول المخلوق أحمد مجتـبى * لولاك كان جميعهم عدماء

فقد استخدم الناظم بعضا من أساليب البديع كما يلي :

1_ الجناس:

الجناس ويسمى التجنيس . ويعني في اللغة: المشاكلة والإتحاد في الجنس.

أما مفهوم الجناس لدى البلاغيين هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى.[157] ويتنوّع إلى نوعين رئيسيين 1- التام 2- غير التام أو المحرف. والتام هو ما اتفق فيه اللفظان في نوع الحروف وعدد الحروف وهيئة الحروف وترتيب الحروف.

[157] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. ج:1 ص:828

كقول الشاعر:

سمّيته يحي ليحيا فلم يكن * إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

فلفظ يحي مكرر مع اختلاف المعنى, واختلاف كل كلمتين في المعنى على هذا النحو مع اتفقاقهما في نوع الحروف وشكلها, وعددها ترتيبا.

وغير التام هو إختلاف الكلمتين في واحد من الأمور الأربعة التقدمة, كقوله تعالى:{ وهم ينهون عنه وينئون عنه}[158] ففي هذه الآية كلمتان متجانستان في اللفظ لا في المعنى: ينهون وينئون ولكنهما اختلفتا في نوعية الحروف.

ومن أنواعه: 1-الجناس الناقص 2-الجناس المضارع 3-الجناس اللاحق 4-الجناس المزدوج أو المكرر أو المردد[159].

وقد وجد الباحث أثناء دراسته أن الشيخ استعمل هذا الأسلوب في قصيدته الثالثة في البيت الثالث والثلاثين, قوله:

خير الأنام سعد الخلائق كلها

رُوحٌ ورَوْح في الدنا ولقاء

ففي هذا البيت كلمتان متجانستان في اللفظ لا في المعنى وهي (رُوح) و(رَوح). فكلمة روح الأولى مفتوحة الراء, والثانية مضمومة الراء, قد اختلفتا في شكلهما. فيدل على أنه جناس غير التام.

وكذلك في البيت الأربعين من نفس القصيدة في قوله:

---

[158] سورة الأنعام: الآية 26

[159] 1- الناقص: هو ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر مع إشفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب. مثل: (جوى)و(جوانح) (صالح)و(صوالح). 2- المضارع: هو ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحد منهما مع تقاربهما في النطق في الأول أو الوسط أو الآخر مثل: (الخيل)و(الخير). (دامس) (طامس). 3- اللاحق: هو ما اختلف اللفظان المشبهان في نوع حرف واحد منهما غير متقاربين في النطقفي الأول أو الوسط أو الآخر. مثل: (تقهر)و(تنهر) (همزة)و(لمزة). 4- المزدوج هو أن يلي أحد المتجانسينالآخر. مثل: قوله تعالى (وجئتك من. سبءبنبء يقين) (من جدّ وجد).

فـانظـر جمادات أطـاعوا أمـره

شجـرا وحجـرا والحصا إجمـاء

فكلمتا (شجرا) و(حجرا) متجانستان في اللفظ لا في المعنى. واختلفا اللفظان في نوع الحرف, شجرا بالشين وحجرا بالحاء. فيعدّ هذا جناس غير التام. أو اللاحق باختلاف اللفظان نوع حرف واحد منهما غير متقاربين في النطق. نحو همزة ولمزة.

التلميح

وجد الباحث هذه الظاهرة في القصيدة الثالثة الهمزية, في البيت الرابع عشرة, والخامس والأربعين, والسادس والأربعين.

حيث قال:

أنـت المكلـم لحـم خيبـر

ونجـاك ربـي سمـة قتــلاء

فيقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت كلمك اللحم المسموم قاتل في غزوة خيبر ونجاك الله من شرّهم . وذكر صاحب السيرة النبوية هذه الحادثة إذ قال: (وفي مغازي عروة[160]:فتناول الذراع فانتهش منها، وتناول بشر عظمًا آخر، فانتهش منه، فلما أرغم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرغم بشر ما في فيه، فقال رسول الله: ارفعوا أيديكم، فإن كتف الشاة تخبرني أني قد بغيت فيها، فقال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت، ولم يمنعني أن ألفظها إلا أني كرهت أن أنغص طعامك، فلما أكلت

[160] أنظر الكتاب : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء/ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي دار النشر / عالم الكتب - بيروت - 1417هـ الطبعة : الأولى عدد الأجزاء / 4تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي, ص: 198.

ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك، ورجوت أن لا أكون رغمتها وفيها بغي.[161]

الطباق

أما في القصيدة الثالثة ففي أربعة مواضع, وهي في البيت الربع والثلاثين, والسادس والثلاثين, والأربعين, والستين.

وعلى سبيل المثال ما في البيت السادس والثلاثين من القصيدة الثالثة في قوله:

خيـر الأنـام سعد الخـلائـق كلها

روح وروح في الـدنا ولقــاء

فكلمة "الدنا" و" لقاء" ضدان وهي الدنيا والآخرة.

لم يولدوا حقاً نظير نبينــا * من أول الدنيا إلى الأخراء

فانظر جمادات أطاعوا أمره * شجرا وحجرا والحصا إجماء

فأغث عبيدك يا إلهي في الدنا * يوم القيامة ءامنا الأسواء

وكان كل ما وجد الباحث من أساليب الطباق في قصائد الشيخ آدم طباق إيجابي

ومن أساليب البديع التي وضع الباحث يده عليهافي قصيدة الشيخ آدم ثندو, ظاهرة مراعاة النظير.

مراعاة النظير في القصيدة الثالثة:

وجد هذه الظاهرة في خمسة مواضع في القصيدة الثالثة, في البيت التاسع عشرة, والسابع والعشرين, والواحد والأربعين, والثاني والأربعين.

(19) أسألك ربي الأمن يوم اللقا * وفضائل الدنيا ونيـل براء

[161] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث, المبحث الأول غزوة خيبر ج3 ص: 1500.

ففي هذا البيت تجد أن كلمة الأمن وفضائل وبراء كلها من جنس واحد وهي من تمنيات العبد من ربه.

(27) ما جاء أحد من باب أحمد مصطفى* إلا ونال براءة وشفـاء

أما هذا البيت في كلمتي البراءة والشفاء كذلك كما في البيت السابق.

(40) فانظر جمادات أطاعوا أمره * شجرا وحجرا والحصا إجماء

في هذا البيت تجد أن كلمة الشجر, والحجر,والحصى كلها من الجمادات.

(41) يسمع بتسبيح الطعام بكفه * والأسد كلمه كذا ظبياء

وكذلك كلمة الأسد والظباء كلاهما حيوانات.

(42) من جا إليه ذنوبه يغفر بلا * شك وريب ليس فيه مراء

الموسيقي:

إن الناظم جرى في قصائده على بحر الرجز وسمي الرجز بذلك لاضطرابه, ولأن العرب تسمى الناقة التي ترتعش فخذاها رجزاء على وزن حمراء.[162] ويستعمل هذا البحر تاما[163] ومجزوءا[164] ومشطورا[165], ومنهوكا[166]. واشتهر هذا البحر بهذه الصورة , و يقول الدكتور مختار أتمّ في كتابه: لباب العروض والقوافي (وهناك

[162] أنظر الكافي في العروض والقوافي ص:77

[163]التام: أن تبقى له تفاعيله الست.

[164] المجزوء: أن تبقى تفاعيله على أربع.

[165] المشطور: أن تبقى تفاعيله على ثلاث.

[166]المنهوك: أن تبقى تفاعيله على اثنين.

من الشعراء فئة تسمى الرجاز يكتبون معظم قصائدهم من هذه الصورة وتسمى القصيدة في هذه الحالة أرجوزة ومن أشهر هؤلاء الرجاز العجاج وابنه رؤبة والأغلب العجلي وغيرهم كما أن هناك بعض الشعراء يكتبون بعض الأراجيز لكنهم لم يشتهروا بذلك. وكثير من الشعر التعليمي يجري في البحر الرجز).[167] وأجزاؤه مستفعلن ست مرات:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعلن

ومثاله:

دار لسلمى إذ سليمي جارة * قفر ترى آياتها مثل الزبـر

مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعلن

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما * راح به الواعظ يوما أو غدا

مستفعلن متفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وقد جرت أبيات هذه القصيدة للشيخ آدم ثندو واستعمل تاما على ستة تفاعيل حيث يقول:

الحمد لله الذي يعطي الفضل * والجود والإحسان والنعمـان

مستفعلن مستفعلن مفتعلن * مستفعلن مفتعلن مستفعلن

وأما بالنسبة للروي فإن القصيدة نونية لأن الحرف الأخير لكل بيت منها نونا فتنسب إليه.

والقافية لغة: هو مؤخر العنق. واصطلاحا فقد عرفها الخليل بأنها هي الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري.

[167] مختار أتمّ: لباب العروض والقوافي ص:50

وابن كيسان عرفها بقوله: هي كل شيء لزمت إعادته في آخر البيت. وتكون القافية كلمة واحدة مثل:

فلو نبش المقابر عن كليب * فيعلم بالذنـائب أي زيـر

فكلمة (زير) وساكنها هما: الياء التي بعدها الناتجة من إشباع الكسرة.

وقد تكون بعض كلمة مثل قوله أيضا:

فإن يك بالذنائب طال ليلي * فقد أبكي من الليل القصـير

فالقافية هي كلمة (صير).

وقد تكون كلمتين مثل:

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالقافية كلمتين:من عل.

ومن الزحاف قد يصيب هذه القصائد ما يسمى ب(الخبن) وهو حذف حرف الثاني الساكن مثل: فاعلن, مستفعلن, مفعولات, تحذف الألف والسين والفاء فتصير فعلن, متفعلن, معولات, وتحول الأخيرتان إلى: مفاعلن ومفاعيل.

وكذلك القصيدة الثانية - فيض الإلهي- جرت أيضا على بحر الرجز. وقد بيّن الشيخ ذلك بنفسه في القصيدة في البيت الواحد والعشرين,يقول فيه:

يـا ناظر في الـرجز هذا فلتكـن

ذا النصح والإصـلاح لا تك لومـة

أما رويها ف حرف التاء. وإن نسبت إليها فهي تائية.

أما القصيدة الثالثة تابعة للقصيدتين السابقتين. جرت على بحر الرجز . وهي همزية, لأن رويّها حرف الهمزة.

الخاتمة

هذا الفصل عبارة عن الخاتمة المشتملة على النقاط التالية:

أ- الخلاصة.

ب- نتائج البحث.

ت- التوصيات.

أ- الخلاصة:

بحمدالله وبفضله إن الباحث قد قسم هذا البحث إلى مقدمة التى اشتملت على الحمد لله والثناء عليه،وصلى وسلم على رسوله صلى الله عليه وسلم،ثم تبع ذلك بذكرأسباب اختيار الموضوع , ورغبته لإبراز هذه الشخصية ومساهمتها في تطوير اللغة العربية. وملكته الشعرية القيمة.

وتحدث عن أهداف البحث من إيجاد فهرس شامل إلى التعرف على مخطوطات الشيخ آدم. والكشف عن حقيقة تاريخ مدينة كنو, وحارة مدابو ومعاهدها. ثم أهمية هذا البحث منها حث الباحثين على تتبع آثار العلماء, والتثقف الذي وصل إليه علماء كنو. وإبراز القيم الفنية التي يحملها هذه الآثار.

وتناول الباحث إشكالية البحث وهي في تحقيق ما تستحقه معاهد مدابو. وما بزلوه من جهد في تطوير اللغة العربية, وإحياء تراثها. ومن الشيخ آدم ثندو ودوره في تطوير اللة العربية وما قيمة هذه الآثار.

وحدد البحث على حياة الشيخ آدم ثندو, وتاريخ مدينة كنو وحارة مدابو ومعاهدها. والقيم الفنية التي تحتلها قصائد الشيخ آدم المديحية.

واتبع الباحث المنهجي الإستقرائي والوصفي. ودرس الباحث بحوث من سبقه في جامعات مختلفة في هذا الميدان ليدلي بدلوه في صدّ الثغرة التي تركوها في بحوثهم السابقة.

وفي الفصل الثاني تحدث الباحث حول سيرة الشيخ آدم الذاتية, وما خلفه من الآثار. ومكوناته العلمية ورحلاته, والبيئة التي عاش فيها.وهي عبارة عن بيئة مدينة كنو, من الناحية الإجتماعية والدينية والسياسية والإقتصادية والثقافية.

والفصل الثالث تناول الباحث مفهوم الفن لغة واصطلاحا وفن المديح في التطور عبر العصور والفرق بين المدح والمديح. ثم عرض الباحث قصائد الشيخ آدم وهي ثلاث قصائد. القصيدة الأولى قصيدته في المديح المسمى فتح الرحمن وأبياتها مائة وعشيرين بيتا وهي على البحر الرجز وقافيتها نون. والقصيدة الثانية المسمى فيض الإلهي أبياتها مائة وثلاث وخمسين بيتا, هي رجزاء أيضا كما ذكر في أحد أبياتها ورويها التاء. أما القصيدة الثالثة الهمزية فهي كذلك رجزاء, ولها من الأبيات تسع وتسعين بيتا. مع بيان أهم ماتضمنه هذه القصائد. ثم تحليل أدبي لهذه القصائدالثلاثة, من بناء القصيدة, وموضوعها, والخاتمة.

والفصل الرابع من هذا البحث تناول دراسة فنية لقصائد الشيخ آدم ثندو. وفيه تحليل لغوي للقصائد.بحيث استخرج الباحث ألوانا من الأساليب البلاغية الرائعة التي استخدمها الشيخ في قصائده. من ظاهرة البيان والتشبيه والإستعارة. وألوانا من أساليب علم المعاني بمهفومه, وما فيه من الوصل والفصل والأسلوب الإنشائي في

النداء. ومن فن البديع بعد مفهومه اللغوي واصطلاحي, إستخدم الشيخ آدم ثندو ظاهرة الجناس, ولزوم مالا يلزم, والتلميح, مع ذكر مصدر القصة التي ألمح الشيخ آدم ثندو فيها, والطباق بنوعيه الإيجابي والسلبي, ومراعاة النظير مع تطبيق هذه الظواهر على قصائد الشيخ آدم قدر الطاقة. وكذلك تناول الحديث حول عيار الموسيقى من ذكر البحر ما في القصئد من الزحاف والعلة.

ب- نتائج البحث:

مما حصل عليه الباحث في هذا البحث المتواضع ما يأتي.

* قِدَمُ اللغة العربية في مدينة كنو وخاصة حارة مدابو.

* أن علماء كنو ساهموا مساهمة جبارة في تطور اللغة العربية لا في مدينة كنو فحسب بل في المستوى العالمي حيث تجد إنتاجاتهم في جميع الدول التي تدرس اللغة العربية.

* إنه بيّن لنا تفنن علماء مدابو في العلوم الإسلامية واللغة العربية.

* جدِّية علمائنا النيجيريين في فهم اللغة العربية مع أنهم لميذهبوا إلى أي بلد عربي وما اختلطوا بالعرب بل عن طريق الكتاتيب والدهاليز.

* تقلد هم بمن سبقهم.

* أن العلماء يقولون أشعارهم بغرض ديني .

* قدرة علمائنا في التعبير عما في نفوسهم باللغة العربية.

* قدرتهم في قرض الأشعار في مختلف أغراضها.

ت- التوصيات:

- التقوى أساس النجاح. فنتّقي الله في جميع الأعمال والظروف.

- أن يحاول الباثون في إبراز مثل هذه الشخصية التي قدمت مساهة جبارة في تطور لغة القرآن في أي بلد, وخاصة في نيجيريا وأن ذلك يبين نضج أفكار علمائنا الأذكياء.
- الكشف عن الحقائق التاريخية لبلادنا.
- إيجاد فهرس شامل يضم مخطوطات شيوخنا في الأقراص والآلات الإلكترونية وحث طلبة العلم على أهميته والإنتفاء به.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

أحمد الهاشمي (السيد): 1421هـ/2000م **جواهر البلاغة**, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع,القاهرة.

أحمد محمد علي (الدكتور) 1406هـ:**دراسات في علم البديع** مطبعة الأمانة,ط1,.

أحمد الشريخات, رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير,1425هـ/2004م **الموسوعة العربية العالمية** دار المعارف العالمية, موقع الوراقhttp//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة (النسخة الإلكترونية).\

أبو أحمد العسكري: 1960م. **المصون في الأدب**،الكويت.

أغاكا,عبدالباقي, (الأستاذ) 2005م: **أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبدالله ابن فودي,** ط 5.

ابن أبي حجلة: **ديوان الصبابة**، موقع الوراق http//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة, (النسخة الإلكترونية).

الإلوري، آدم عبد الله, (1965م), 1- **موجز تاريخ نيجيريا**،بيروت,مكتبة دار الحياة.

(1971م), 2- **الإسلام في نيجيريا** , مكتبة دار الحياة.

باري، عثمان برايم, 2000م, **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي.** ط1، دار الأمين, القاهرة.

البغدادي,عبد القادر, **خزانة الأدب**، موقع الوراق, http//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة, (النسخة الإلكترونية)..

البناوي, محمد امين, 1421هـ/2000م **معين الطالب في علوم البلاغة,** دار الكتب العلمية, بيروت لبنان.

أبو بكر، علي (الدكتور) 1972م, **الثقافة العربية في نيجيريا** ط1

التنبكتي، أحمد باب, 1989م, **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله، الهرامة، طرابلس،ليبيا, منشورات كلية الدعوة الإسلامية.

ثندو ,آدم بن عبد الرحمن السيوطي, 1-**حجج العلماء الدابويين**, مخطوط, عند حفيده إبراهيم منصور.

2- **"بركات السيوطية ويمن الإبراهيمية بشرح أرجوزة القرطبية."**مخطوط, عند السيوطي محمد حسن مدابو.

ثعلب: **قواعد الشعر**:موقع الوراق, http//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة, (النسخة الإلكترونية).

الجوهري ,إسماعيل ابن حماد (ت 393هـ), يناير1990م, **تاج اللغة, وصحاح العربية**, الناشر:دار العلم للملايين-بيروت, ط4.

الجاحظ,أبي عثمان عمرو ابن بحر, 1967م. **البيان والتبيين**,الناشر دار صعب-بيروت,ط1 تحقيق: المحامي فوزي عطوى.

الجرجاني,عبد القاهر (الشيخ),**أسرار البلاغة** ,بشرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاعي, مكتبة الإيمان بالمنصورة, بدون تاريخ.

الحملاوي أحمد, 1417هـ/1997م, **شذ العرف في فن الصرف.** بتحقيق طه عبد الرءوف سعد وغيره, مكتبة الصفا, ط/1. ومراجعة سعيد محمد اللحام. الناشر: عالم الكتب, بيروت- لبنان.

رمضان, سعد القماطي وشركاؤه, **الأدب والنصوص والبلاغة والنقد**, للمرحلة الثالثة, ج 2 ط: 2 جمعية الدعوة الإسلامية العالمية, مكتب الإعلام والبحوث والنشر, ليبيا.

زكي الدين بن الأصبع المصري, 1416هـ/1995م **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن,** بتحقيق الدكتور حفني محمد شرف, لجنة إحياء التراث الإسلامي,القاهرةٍ.

الزمخشري, محمود بن عمر (جار الله) 1409هـ /1989م:**أساس البلاغة**, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة.

أبو زيد القرشي, **جمهرة أشعار العرب**،موقع الوراق, http//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة, (النسخة الإلكترونية).

سعد الدين التفتازاني: **مختصر المعاني** مكتبة يعسوب عليه السلام الإلكترونية, موقع الوراق, http//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة, (النسخة الإلكترونية).

سعد حسين وشريكاه, **الأدب والنصوص والبلاغة للمرحلة الثالثة** ج 1, ط 2 جمعية الدعوة الإسلامية العالمية, ليبيا.

السيد الهاشمي: **مختار الأحاديث النبوية**.

الشيباني, أحمد ابن حنبل ابن عبد الله **مسند الإمام ابن حنبل**, الناشر:مؤسسة قرطبة-القاهرة, بدون تاريخ.

الصولي, **أشعارأولاد الخلفاءوأخبارهم**،موقع الوراق, http//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة, (النسخة الإلكترونية).

الصلابي, علي محمد محمد, **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**, مصدر الكتاب: موقع المؤلف على الإنترنيت:http://www.slaaby.com (النسخة الإلكترونية).

ضيف, شوقي (الدكتور)، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**, ط13, دار المعارف, مصر.

تاريخ الأدب العباسي/ العصر العباسي الأول, دار المعارف مصر.

ابن طباطبا العلوي: **عيار الشعراء**،موقع الوراق http//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة, (النسخة الإلكترونية).

عبدالعزيز عتيق(الدكتور): 2004م **علم البديع**, دار الآفاق العربية 1424هـ.

عبد العزيز لاشين(الدكتور): 1422هـ/ 2001م **البديع في ضوء أساليب القرآن**دار الفكر العربي.

العلامة القاضي أبو الفضل عياض, 544هـ, **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**, مصدر الكتاب, موقع يعسوب. المكتبة الشاملة (النسخة الإلكترونية).

العثيمين, محمد بن صالح (الشيخ), عام 1426هـ /2005م **شرح دروس البلاغة**, مكتب الهدى المحمدي,مصر, ط1.

غلادنثي، شيخ سعيد (الدكتور) 1422هـ/ 2001م **حركة اللغة العربية وآدابها في نجيريا**, ط2، المكتبة الإفريقية 1993م.

الفازازي, بن سعيد عبد الرحمن أبو زيد, **الوسائل المتقبلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم**, مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي, مصر, بدون تاريخ.

ابن فودي,عثمان, **نور الألباب**.

ابن فودي,عثمان , **بيان البدع الشيطانية**.

قدامة بن جعفر:**نقد الشعر**, مكتبة الخفاعي,(ب/ت).

قطب سيد, **النقد الأدبي أصوله ومناهجه ,** دار الشروق بيروت, بدون ذكر المطبعة وتاريخ الطبع.

القزويني, محمد بن عبدا لرحمن الشافعي الدمشقي(الخطيب),

أ **الإيضاح في علوم البلاغة** , ب- **البلاغة تطور وتاريخ,**

دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان,بدون تاريخ.

ب **التلخيص في علوم البلاغة**,تحقيق:د/عبد الحميد الهنداوي

القضاعي, محمد ابن سلامة ابن جعفر أبو عبد الله, 1976/1407م: **مسند الشهاب**, ط2 تحقيق حمدي ابن عبد المجيد السلفي.

القلقشندي, **صبح الأعشى**, الضرب الرابع, موقع الوراق, http//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة, (النسخة الإلكترونية).

كافوري, صفي الرحمن المبار, **الرحيق المختوم**, ملتقى أهل الحديث

www.ahlalhadeeth.com , المكتبة الشاملة(النسخة الإلكترونية).

ابن كثير,إسماعيل ابن عمر (الإمام), 142هـ/1999م **تفسير القرآن العظيم, ت/سامي بن محمد سلامة,ط/**2, دار طيبة للنشر والتوزيع.

منير, سلطان (الدكتور) 1986م **البديع تأصيل وتجديد**, منشأة المعارف الإسكندرية.

مختار أتـمّ, **الكافي في العروض والقوافي**. بلا تاريخ.

المختصر القويم في دلائل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم, إعداد ولد نور. موقع الوراق,http//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة, (النسخة الإلكترونية), الإصدار الثالث.

ابن المعتز،**طبقات الشعر**، موقع الوراقhttp//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة, (النسخة الإلكترونية)..

ابن منظور, محمد بن مكرم, 1410هـ_1994م **لسان العرب**, ط1 دار صادر للطباعة والنشر _بيروت.

نمعج ,آدم, **ترقيق ما قسا في تاريخ أولياء بلاد هوسا**, مكتبةالشيخ عند آدم كمال الدين آدم, مخطوط.

النيسابوري, محمد ابن عبد الله أبو عبد الله الحاكم, 1411هـ/1990م, **المستدرك على الصحيحين**, الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت,ط1 تحقيق مصطفى عبد الفادر عطا.

هلالي, محمد طه (الدكتور) 1997م: **توضيح البديع في البلاغة**, المكتب الجامعي الحديث, الإسكندرية, ط1.

أبو هلال العسكري: **كتاب الصناعتين**, موقع الوراقhttp//www.alwarraq.com المكتبة الشاملة (النسخة الإلكترونية).

يعقوب أحمد دوكاوا: **مكانة اللغة العربية في ولاية كنو**.

الرسائل الجامعية.

أحمد، عبد الله جبريل, 1990م **"المعاهد التقليدية القديمة في مدينة كنو"** أطروحة الليسانس جامعة بايرو.

حسن، سيوطي محمد 1998م, **"آية الله الشيخ ثندو النيجيري الكنوي وتحقيق كتابه- خذ الدرر والياقوت قبل أن يفوتا"** أطروحة ليسانس، كلية التربية الفدرالية، كنو.

علي، مصطفى حسن, 1990م. **معلم آدم الملقب بثندو بحارة مدابو بمدينة كنو حياته ومؤلفاته** أطروحة ليسانس غير منشور جامعة جوس

مسكواني، عمرو جبريل, 1999م: **الشيخ آدم ثندو وأثاره العربية** أطروحة ليسانس من جامعة بايروم.

يلو، علي عبد الله, 1994م **مساهمة الشيخ ابن عبد الرحمن السيوطي الملقب بـ (ثندو) فى الثقافة العربية** أطروحة ليسانس غير منشورة جامعة بايرو.

المراجع الأجنبية:

Adamu M. U. (1999) Confluences and Influences- The Emergence of Kano as City State Kano: Adamu.

Adamu. M. T. (1978) Asalin Hausawa da Harshensu, Kano: Dan Sarkin Kura Publishing Company Ltd.

Bahago. A. A (1998) Kano Ta Dabo Tumbin Giwa, Munawwar Books Foundation.

Dokaji. A.A (1978) Kano Ta dabo Ci Gari Zaria. Northen Nigerian Publishing Company Ltd.

Hogben. S.J. And Kirk Green A.H.M (1960) The Emirates Of Northern Nigeria London; Oxford University Press.

Kwalli, K.M. (1996) Jalla Babbar Hausa, (N.P)

Habibu Abdullahi sarki Tarihin Zuwan Muslinci Africa da kasar Hausa.

Miller. E.P (1973) Religion and Political Culture In Kano, London; University of Californian Press.

Rufa'i. R.A (1995) Gidan Rumfa: The Kano Palace Kano Triumph Publishing Company.

Sufi, A.F (ND) Musan Kammu Kano: Mai Nasara Press.

الـملاحق

1- القصيدة الأولى: فتح الرحمن.

2- القصيدة الثانية: فيض الإلـهي.

3- القصيدة الثالثة: الـهمزية.